مجلة شهرية

عدد: 188 Issue No:

شهر نيسان April 2023

نـــــور المسيـــح

ΦΩΣ ΧΡΙΣΤΟΥ

جمعية نور المسيح رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

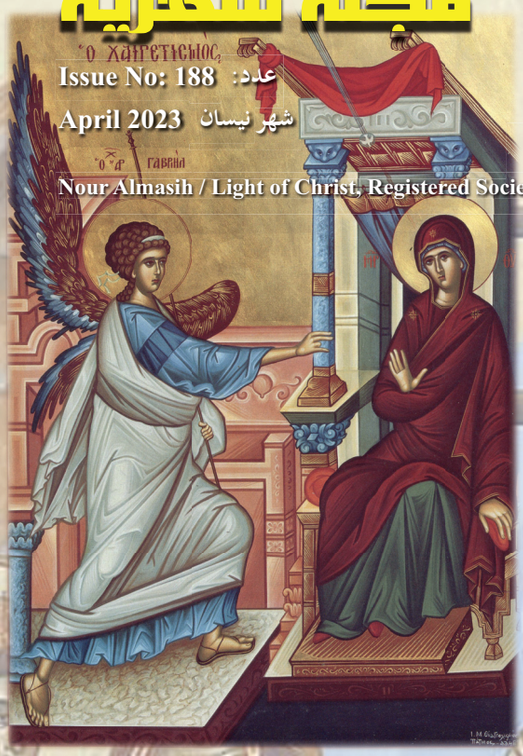

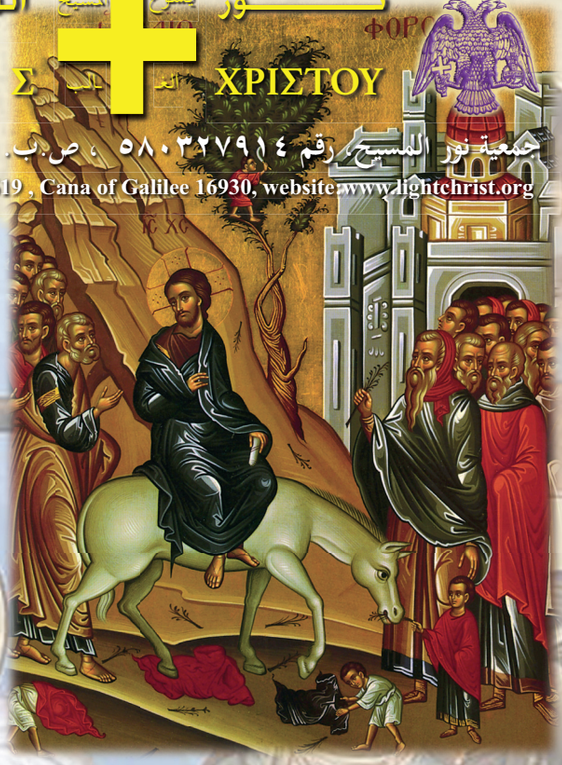

القيامة المجيدة

«لأَعْرِفَهُ، وَقُوَّةَ قِيَامَتِهِ، وَشَرِكَةَ آلاَمِهِ، مُتَشَبِّهًا بِمَوْتِهِ،» (في 3: 10)

« أَيْنَ شَوْكَتُكَ يَا مَوْتُ؟ أَيْنَ غَلَبَتُكِ يَا هَاوِيَةُ؟» (1 كو 15: 55)

المسيح قام حقًّا قام

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم

كيريوس كيريوس تيوفيلوس الثالث

بمناسبة عيد بشارة سيدتنا والدة الإله الدائمة البتولية مريم

في مدينة الناصرة 25/3/22 شرقي 7/4/22 غربي

يقول النبيّ اشعياء: «وَلكِنْ يُعْطِيكُمُ السَّيِّدُ نَفْسُهُ آيَةً: هَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ عِمَّانُوئِيلَ الَّذِي تَفْسِيرُهُ: اَللهُ مَعَنَا.» (اشعياء ٧: ١٤/متى ١ : ٢٣)

أيها الإخوة المحبوبون في المسيح
أيها المسيحيون الأتقياء

إنَّ نعمةَ الرُّوح القُدُس قد جمعتنا في هذا المكان والموقع المقدس أي في مسكن الرَّبِّ في مدينة الناصرة لكي بشكرٍ نُعيِّد لظهور:«السِّرِّ الْمَكْتُومِ مُنْذُ الدُّهُورِ فِي اللهِ خَالِقِ الْجَمِيعِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ.» (أف٣: ٩) ابن الله الصائر ابن العذراء.

إنَّ العذراءَ مريم هي التي سبق وتنبَّأ عنها النبي اشعياء وهي تلك التي شهد القديس لوقا الإنجيلي لها :«عَذْرَاءَ مَخْطُوبَةٍ لِرَجُلٍ مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ اسْمُهُ يُوسُفُ. وَاسْمُ الْعَذْرَاءِ مَرْيَمُ.» (لو١:٢٧). فإنَّها هي التي أتى نحوها الملاك جبرائيل مُرْسَلًا من اللهِ قائلًا: «إِفْرَحِي يا ممتلئة نعمةً، اَلرَّبُّ مَعَكِ. مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ. وَهَا أَنْتِ سَتَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْنًا وَتُسَمِّينَهُ يَسُوعَ. وَقَالَ لَهَا: «اَلرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكِ، وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكِ، فَلِذلِكَ أَيْضًا الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَى ابْنَ اللهِ.» (لو١:٢٦-٣٧).

حقًّا إنَّ العذراءَ مريم هي التي قال عنها مرنم الكنيسة: «رأس خلاصنا نحن البشر»، وذلك لأن سِرّ التدبير الإلهي والذي هو الإيمان في المسيح قد شكَّل ملء الناموس وأنبياء العهد القديم كما يكرز الرسول بولس قائلًا:« وَلكِنْ لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ مَوْلُودًا مِنِ امْرَأَةٍ، مَوْلُودًا تَحْتَ النَّامُوسِ، لِيَفْتَدِيَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ، لِنَنَالَ التَّبَنِّيَ.» (غلا ٤: ٥-٤).

ويُفسر ايكومينيوس أقوال الرسول بولس هذه قائلاً: « لم يقل إنه خلال امرأةٍ بل من امرأةٍ موضحًا بذلك أنه من جوهرها قد أخذ الرَّبّ جسدًا وهو حقًّا ثمرة بطنها.» وأما افسافيوس ايماسي فيقول:« لأن المرأة (حوَّاء) هي التي قد جلبت الخطيئة ، فالخلاص يكون من المسيح الذي وُلِدَ من المرأة – **حوَّاء الجديدة – (مريم العذراء)**»، لهذا فإنَّ القديس كيرلُّس الإسكندري يمدحها قائلًا:« افرحي يا والدة الإله مريم التي منها جاءت النعمة التي لا توصف.»

والتي قال عنها بولس الرسول هاتفًا: «لأَنَّهُ قَدْ ظَهَرَتْ نِعْمَةُ اللهِ الْمُخَلِّصَةُ، لِجَمِيعِ النَّاسِ» (تيطس٢:١١)، افرحي يا والدة الإله مريم التي منها جاء النُّور الحقيقي ربنا يسوع المسيح والذي قال في الأناجيل: «أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ» (يوحنا ٨: ١٢)، افرحي يا والدة الإله مريم التي من خلالها أضاء النور للجالسين في الظلمة وظلال الموت «الشَّعْبُ الْجَالِسُ فِي ظُلْمَةٍ أَبْصَرَ نُورًا عَظِيمًا» (متى ٤: ١٦). وهل هناك نور إلَّا ربنا يسوع المسيح، «النُّورُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي يُنِيرُ كُلَّ إِنْسَانٍ آتِيًا إِلَى الْعَالَمِ» (يوحنا١:٩)، افرحي يا مريم يا كنز المسكونة.

حقًّا أيها الإخوة الأحبة إنَّ عذراءَ الناصرة قد أصبحت كنز المسكونة وذلك لأن بشارة العذراء مريم الممتلئة نعمة والمباركة في النساء قد «كَرَّسَتْ لَنَا طَرِيقًا حَدِيثًا حَيًّا» (عبر١٠:٢٠).

وبكلامٍ آخر إنَّ بشارة العذراء مريم والدة الإله قد أسَّست وثبَّتت طريق الخلاص أي شفاء الإنسان من الخطيئة أي شفاء الإنسان من المرض وفساد الموت كما يقول الرَّبّ: «أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ. مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا، وَكُلُّ مَنْ كَانَ حَيًّا وَآمَنَ بِي فَلَنْ يَمُوتَ إِلَى الأَبَدِ.» (يوحنا ١١: ٢٥-٢٦).

ويقول القديس بولس الرسول الحكيم في قيامة المسيح: «فَإِنْ لَمْ تَكُنْ قِيَامَةُ أَمْوَاتٍ فَلاَ يَكُونُ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ! وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ، فَبَاطِلَةٌ كِرَازَتُنَا وَبَاطِلٌ أَيْضًا إِيمَانُكُمْ» (١كور١٥: ١٣-١٤) وهذا يعني أنَّ قيامتنا في المسيح تفترض بالضرورة تجسُّد وتأنُّس كلمة الله، ربنا ومخلصنا يسوع المسيح بالرُّوح القُدُس من دماء النقيَّة مريم العذراء والدة الإله. وبدون قوَّة ايماننا من المستحيل أن نفهم وندرك سِرّ التدبير الإلهي في المسيح. «هأَنَذَا أَضَعُ فِي صِهْيَوْنَ حَجَرَ زَاوِيَةٍ مُخْتَارًا كَرِيمًا، وَالَّذِي يُؤْمِنُ بِهِ لَنْ يُخْزَ وَمَنْ سَقَطَ عَلَى هذَا الْحَجَرِ يَتَرَضَّضُ.» (١ بط ٢ :٦-٧ متى ٢١: ٤٤) كما يقول الرَّبُّ.

وعدا عن ذلك فإن القديس يوحنا الدمشقي يؤكد عليه بالترنيم

قائلًا: «لقد عُرِفْتِ أُمًّا على منوالٍ يفوق الوصف والإدراك، ولا يستطيع إنسان أن يُفسر معجزة ولادتك، فإنَّكِ كما كان حبلكِ غريبًا باهرًا، كذلك كانت ولادتك على منوال لا يُدرك، فحيثما شاء الله يُغْلَبْ نظامُ الطبيعة، فلذلك نعرفك كلّنا أُمًّا للهِ ولا ننفكّ طالبين إليك أن تتشفعي في خلاص نفوسنا.»

ما أبعد أحكام الله عن الإدراك وطرقه عن الاستقصاء فإنه أصبح من المعروف بحسب القديس بولس: «عِنْدَ الرُّؤَسَاءِ وَالسَّلاَطِينِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ، بِوَاسِطَةِ الْكَنِيسَةِ» (أفس٣: ١٠). إذ أنَّ كنيسة المسيح قد أظهرت من خلال الآباء المتوشحين بالله المُحَرَّكِينَ من الرُّوح القُدُس في المجامع المسكونيَّة: بأنَّ العذراء مريم تُدعى والدة الإله. ولنسمع ما يقوله بهذا الصدد القديس كيرلُّس الإسكندري قائلًا: «يكفي إذًا أن نقول إنَّ الاعتراف بإيماننا صحيحٌ ولا تشوبه شائبة. ونعترف بأنَّ العذراء هي القديسة والدة الإله .... وأنَّ العذراء القديسة لم تلد الألوهة عارية ومجرَّدة، بل متَّحدة بجسد كلمة الله. وأنه بالحقيقة أنَّ العذراء القديسة صارت والدة الإله عندما ولدت مسيحًا واحدًا مشاركًا معنا في اللحم والدم ومساويًا لجوهرها ولنا نحن بحسب الطبيعة البشريَّة، وذلك لأن جسد «المسيح» خرج من مريم والدة الإله.»

فها نحن عرفنا أيُّها الإخوة الأحبة لماذا تُعظم كنيستنا المقدسة العذراء مريم والدة الإله بالتسابيح والترانيم هي التي بشّرها الملاك جبرائيل قائلًا: «لاَ تَخَافِي يَا مَرْيَمُ، لأَنَّكِ قَدْ وَجَدْتِ نِعْمَةً عِنْدَ اللهِ.» (لو١: ٣٠).

وأمَّا نحن أيها الإخوة فإننا نهتف ونرتل قائلين: أيَّتها العذراء الكليَّة القُدس لقد حصلت أكرم من الشاروبيم المجيدين لأنَّ أولئك بما أنَّهم لا يحتملون القوَّة الإلهيَّة فيُتمِّمون الخدمة بوجه محجوب بأجنحتهم وأمَّا أنتِ فاستطعتِ أن تُشاهدي الكلمة متجسدًا وجهًا بإزاءِ وجهٍ، فتوسَّلي إليه بغير فتور من أجل نفوسنا، ومن أجل توقف الحروب والسلام لمنطقتنا والعالم أجمع .

فِصحًا مَجيدًا مُباركًا

الداعي لكم بحرارة بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

في الإيمان

فضيلة الإيمان – الذي لا يعتقدُ بتقليد الكنيسة الشَّريف، أو يعيش عيشة رديئة هو غير مُؤمن. والإيمان على نوعين:–

الإيمان من السَّماعِ « إِذًا الإِيمَانُ بِالْخَبَرِ، وَالْخَبَرُ بِكَلِمَةِ اللهِ.» (رو ١٠: ١٧). فنحنُ بإصغائنا إلى الكُتُبِ الإلهيَّةِ، نؤمن بتعليم الرُّوح القُدُس. وهذا يتمُّ متى آمنَّا فعلًا بجميع الشَّرائع التي وضعها المسيح، وكانت التَّقوَى رائدنَا، ثمَّ عملنا بوصايا من أعادَ تجديدنا. والذي لا يُؤمن بمقتضَى تقليد الكنيسة الجامعة أو يشترك مع **إبليس** في أعماله الشِّريرة، هو غير مؤمن.

والإيمان عطيَّة الرُّوح:– و «الإِيمَانُ فَهُوَ الثِّقَةُ بِمَا يُرْجَى وَالإِيقَانُ بِأُمُورٍ لاَ تُرَى.» (عبرانيين ١١: ١). وهو رجاءٌ بلا ريبٍ ولا جَدَلٍ في ما أعلنه الله لنا وفي استجابة طلباتنا، أَوَّلُهُمَا من وحي ضميرنا، والثَّاني من مواهب الرُّوح.

الختان الرُّوحيّ:– واعلم أنَّنَا بالمعموديَّة نختن كُلّ حاجزٍ قام منذ تكويننا أعني به الخطيئة ونُصبحُ **إسرائيليِّين روحانيِّين** وشعبَ الله.

في الصليب ثمَّ في الإيمان أيضًا

لا يمكن فهم خَلق الكائنات بالتفكير البشريّ. – الإيمان ضرورة عامَّة. – ما هو الإيمان:–

«فَإِنَّ كَلِمَةَ الصَّلِيبِ عِنْدَ الْهَالِكِينَ جَهَالَةٌ، وَأَمَّا عِنْدَنَا نَحْنُ الْمُخَلَّصِينَ فَهِيَ قُوَّةُ اللهِ» (١ كور١: ١٨)، «وَأَمَّا الرُّوحِيُّ فَيَحْكُمُ فِي كُلِّ شَيْءٍ» (١ كور٢: ١٥)، «وَلكِنَّ الإِنْسَانَ الطَّبِيعِيَّ (الحيواني) لاَ يَقْبَلُ مَا لِرُوحِ

اللهِ» (١كور١٤:٢). فإنَّها لجهالةٌ عند الذين لا يقتبلُون ذلك بإيمانٍ ويُشَكِّكُونَ في صلاحِ اللهِ واقتدارِهِ العامّ، بل وَيُدَقِّقُون في بحث الإلهيَّات بأفكارٍ بشريَّة وطبيعيَّة، لأنَّ كُلّ ما يتعلَّق باللهِ هو فوق الطبيعة والنُطق والتفكير. فإذا تساءَلَ أحدهم كيفَ وبماذا ولماذا أخرجَ اللهُ كُلَّ شيءٍ من العدمِ إلى الوجودِ، وأرادَ أن يُعَبِّر عن ذلك بأفكارٍ طبيعيَّة، فهو لا يستوعبُه وتكونُ معرفته نفسها طبيعيَّة **وشيطانيَّة**. أمَّا اذا انقادَ على هَدي الإيمان، وفَكَّر بأنَّ الإلهَ صالحٌ وقديرٌ وصادقٌ وحكيمٌ وعادلٌ، فهو يرى كُلّ شيء سهلًا ومُمَهَّدًا، والسبيل إليه رَحْبًا. فإنَّهُ لا يُمكن الخلاص بدون الإيمان. وبالإيمان يقومُ كُلّ شيء، بشَرِيًّا كانَ أم روحانِيًّا. لأنَّ الفلَّاح بدون إيمان لا يشقّ أرضًا إلى أتلامٍ ولا التَّاجرُ بدون إيمان يزجُّ بنفسه على خشبة صغيرة في لجَّة البحر الهائج، ولا الزَّواجَات تقوم، ولا أي شيءٍآخر ممَّا في الحياة. فبالإيمانِ نفهم خروج كُلّ شيءٍ من العَدَمِ إلى الوجودِ بقوَّةِ اللهِ، وبالإيمان نُقَدِّر كُلّ الإلهيَّات والبَشريَّات قدْرها. فإنَّ الإيمان اقتناع لا يتخلَّله أبحاث فارغة !

ليسَ من شيء أعجب من صليب المسيح. فوائده:–

إذًا فكُلّ أعمال المسيح ومعجزاته عظيمةٌ جدًّا وإلهيَّةٌ وعجيبةٌ. بيدَ أنَّ أعجبَها كلّها **صليبُه الكريم**. فلولاه لما بَطُلَ الموت أبدًا ولا انحلَّت خطيئة أبينا الأوّل ولا سُلِبَ الجحيم ولا مُنِحَت القيامة ولا أُعطِيَت لنا قوَّة لاحتقار الأشياء الحاضرة والموت نفسه ولا تمهَّدَ السبيل للعودَةِ إلى السعادة القديمة ولا فُتِحَتْ أبواب الفردوس وجلَسَتْ طبيعتُنا إلى ميامن الله، ولا صِرنا أبناءَ الله وورثته، لو لم يَكُنْ بصليبِ **ربّنا يسوع المسيح**، لأنَّ كُلّ شيء قد اصطلح بالصليب. ولذا فإنَّ الرسول يقول: «أَنَّ كُلَّ مَنِ اصطَبَغَ منَّا لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ اصطَبَغَ في مَوْتِهِ» (رو ٣:٦). و «نحنُ جُمْلَةً مَن اعْتَمَدْنا في الْمَسِيحِ قَدْ لَبِسْنا الْمَسِيحَ» (غلاطية ٢٧:٣)، و «بِالْمَسِيحِ قُوَّةِ اللهِ وَحِكْمَةِ اللهِ.» (١كور ٢٤:١). فهُوَذا موت المسيح – أي صليبه – قد أَلْبَسَنا حكمة الله وقوَّته الأقنومِيَّة. والكلمة، كلمة الصليب، هو قوَّة الله، ذلك لأنَّهُ اقتدار الله، ولأنَّهُ انتَصَرَ على الموت وبه ظَهَرَ لنا، ولأنَّهُ – على نحو ما أنَّ أطرَاف الصليب الأربعة ترتبط وتَشتَدُّ في نقتطها الوسطى ، كذلك، بقوَّةِ اللهِ، يجتمع العلوُّ والعمقُ والطولُ والعرضُ أي الخليقة كلّها، ما يُرى وما لا يُرى.

إشارة الصليب تمييز بين المؤمنين وغير المؤمنين:–

والصليبُ قد أُعطِيَ لنا سِمَةً على جبهتنا، على نحو ما دُفِعَت الختانة لإسرائيل. والمؤمنون يتميَّزون بواسطتها من غير المؤمنين فنعرفهم. وهو ترسٌ وسلاحٌ وفوزٌ ضِدَّ **إبليس**، وهو ختمٌ كي لا يَمسَّهُ مبيدُ الكلّ، كما يقول الكتاب. وهو نهوض السَّاقطين وَسَنَدُ الواقفين وَعُكَّاز الضُّعفاء، وعصا الرُّعاة وإرشاد المرتدِّين وكمال الفائزين. وهو خلاصٌ للنَّفسِ والجَسَدِ، وتنقيةٌ من كُلِّ الشُّرور ومجلبةٌ لكُلِّ الخيرات، وإزالةُ الخطيئة ونبتُ القيامة وعودُ الحياة الأبديَّة.

السجود لِعُودِ الصليب، ولسائر ما قدَّسه المسيح بلمسهِ إيَّاه:–

إذًا فيجب السُّجود للعودِ الكريم حقًّا والمستحقّ الإكرام الذي قرَّبَ عليه المسيحُ ذاته مذبوحًا لأجلنا، وقد تقدَّسَ بِلَمْسِهِ الجسَدَ والدَّمَ الأقدَسَيْن. ويجب السُّجود أيضًا للمسامير والحربة وثيابه، ولمساكنه التي هي: المذودُ والمغارةُ والجلجلةُ وقبرُه الخلاصيّ المُحيي ولصهيون أُمّ الكنائس ولأمثالها، على ما يقول داود أبو لمسيح إلهنا: «لِنَدْخُل إِلَى مَسَاكِنِ الرَّبِّ وَلْنَسجُد لِمَوْطِئِ قَدَمَيهِ» (مز١٣١:٧). والبرهان على أنَّهُ يعني بذلك الصليب، يُؤْخَذ ممَّا يأتي: «قُمْ أَيُّها الرَّبُّ إِلَى رَاحَتِكَ» (مز١٣١:٨)، لأنَّ القيامة تتبع الصليب. فإذا كان الحبيبُ يحبُّ مِنْ محبوبه بيته وسريره ولباسَهُ، فَكَم بالأحرى كثيرًا يجب أنْ نُحِبَّ – من إلهنا ومخلِّصنا – ما بواسطته صرنا مُخلَّصين!

يجب السجود لرسم الصليب، على أنَّهُ شَارة المسيح ، ولا ينبغي السجود لمادَّةِ الصليب:–

ونحنُ نسجدُ أيضًا لرَسمِ الصليب الكريمِ المحيي وَلَوْ كان من مادَّةٍ أُخرى، لأنَّنا لا نُكَرِّم المادَّة، حاشا! بَلِ الرَّسم، على أنَّهُ رمزُ المسيح. وقد قالَ هو بِوَصِيَّتِهِ لتلاميذِهِ: «وحينئِذٍ تَظهَرُ علامةُ ابن البَشَر في السَّماءِ» (متى ٢٤:٣٠). – دالًّا بذلك على الصليب – لذلك قال أيضًا ملاك القيامة للنِّسْوَة: «إِنَّكُنَّ تَطْلُبْنَ يَسُوعَ النَّاصِرِيّ المَصلُوب» (مرقس ١٦:٦). لإنَّ كثيرين هُم الذين يَتَكَنَّون بالمسيحِ وبيسوع، ولكنَّ المصلوب واحد. وهو لم يَقُل: **المطعون بحَربَةٍ**، بل **المصلوب**. وعليه يجب السجود لعلامة المسيح، لأنَّه حيثما تَكُنِ العلامة يَكُنْ هو نفسه أيضًا. أمَّا المادَّة المعمول منها رَسمُ الصليب، ذهَبًا كانت أم حجارة كريمة، فاذا حدثَ أنْ زالَ الرَّسم، لا ينبغي لها السجود. وعليه فإنَّنا نسجُد لِكُلِّ ما يُنسَب لله. مُركِّزين عبادتنا عليه.

إنَّ عودَ الحياةِ رمزٌ للصليبِ:–

– إنَّ عُوْدَ الحياةِ – ذاكَ الذي قد غرسه الله في الفردوس – كان قد سَبَقَ وَرَمَزَ إلى الصليبِ الكريم. فلمَّا دَخَلَ الموت إلينا بالعودِ، وَجَبَ أنْ تُعطَى لنا بالعودِ الحياة والقيامة. ويعقوب الأوّل أبو الآباء، لمَّا سَجَدَ لرأس عصا يوسُف ابنه، قد صَوَّر الصليب، ولمَّا بارَكَ ولَديْهِ بيديهِ المتعارِضَتين، رَسَمَ علامة الصليب رسمًا جَلِيًّا جدًّا. (يعقوب بارَك ابناء يوسف «أفرام ومنَسَّى»– انظر تكوين اصحاح ٤٨)، وإنَّ عصا موسى – بِضَرْبِ البَحرِ بها بشكلِ صليب – أنقذت إسرائيل وغَرَّقت فرعون. وأنَّ يديه (يدي موسى) المبسوطتين على شَكلِ صليب قَهَرَتَا عماليق. – والماء المُرّ قد صارَ حُلوًا بالعودِ وانفَلَقت الصخرة وجرت منها المياه – وإنَّ عصًا أيضًا قد احتفظت لهارون برئاسَةِ الكهنوت. والحيَّة لمَّا رُفِعَت على عودٍ وقد بَدَت مائتة، خَلَّصَ العود أولئك المؤمنين الناظرين إلى عدوِّهم مائتًا. ذلك على مثال المسيح الذي لَمْ يعرف خطيئة وقد سُمِّرَ بجسد الخطيئة. لذلك صَرَخَ موسى العظيم قائلًا: «انظروا إلى حياتكم على عُوْدٍ مُعلَّقة تُجاه أعينكم» (تثنية ٢٨:٦٦). وقالَ أشعياء : «بَسَطْتُ يَدَيَّ طُولَ النَّهَارِ إِلَى شَعْبٍ مُتَمَرِّدٍ سَائِرٍ فِي طَرِيقٍ غَيْرِ صَالِحٍ وَرَاءَ أَفْكَارِهِ.» (أشعياء ٦٥:٢). أمَّا نحنُ السَّاجدين له عسَانا نَحظَى بالنَّصيبِ مع المسيحِ المصلوب!

هل رأيتم قُوَّة الله؟

هل رأيتم محبَّة الله للبشريَّة؟

رأيتم قوَّته عندما زلزل العالم، ورأيتم محبَّته عندما جعل العالم المترنح ثابتًا مرَّة أخرى – أو بالأحرى رأيتم قوَّته ومحبَّته في كليهما – فالزِّلزال أظهر قُدرة الله وتوقُّفه أظهر محبَّته، إذ أنَّه هزَّ الأرض ثم جعل الكون راسخًا مرَّة ثانية، وبعد أن كان يتأرجح وعلى وشك الانهيار جعله منتصبًا.

قد انتهى الزِّلزال، لكن ليبقى **الخوف**، ذلك الترنح قد جرى مجراه وعبر لكن لا تترك التعقُّل يغادر معه. قد أمضينا ثلاثة أيام في الصلاة، ليتنا لا نُخفِّف من حماسنا الرُّوحي. جاء الزِّلزال بسبب تهاوننا، قد استرخينا فاستدعينا الزِّلزال، جدَّدنا حماسنا فأبعدنا غضب الله. ليتنا لا نتهاون مرَّة أخرى لئلا نستدعي غضبه وعقوبته من جديد. كما يقول الرَّبُّ: «إِنِّي لاَ أُسَرُّ بِمَوْتِ الشِّرِّيرِ، بَلْ بِأَنْ يَرْجِعَ الشِّرِّيرُ عَنْ طَرِيقِهِ وَيَحْيَا.» (حز٣٣: ١١).

هل رأيتم فناء الطبيعة البشريَّة؟!

عند حدوث الزِّلزال تأمَّلت في نفسي وقلت: **أين السرقة؟ أين الطمع؟ أين الاستبداد؟ أين التكبر؟ أين الهيمنة؟ أين الظلم؟ أين نهب الفقير؟ أين عجرفة الغنيّ؟ أين سيطرة الأقوياء؟ أين التهديد والإكراه؟ أين الخوف؟**

مرَّت لحظة واحدة، وإذا كُلّ شيء قد تمزَّق بسهولة أكثر من تمزق شبكة العنكبوت، كُلّ شيء تحطَّمَ، وامتلأت المدينة بالصُّراخ وركض كل إنسان نحو الكنيسة.

تأمل معي: لو كان الله قد اختار تدمير كُلّ شيء، ماذا كان سيكون حجم المعاناة؟!

أقول هذا لكي يبقى ذلك **الخوف** الناتج من تلك الأحداث قاطعًا فيك، فنُحافظ على عزيمة كُلّ شخص قويَّة وثابتة. قد هزَّنا لكنه لم يحطِّمنا، لو كانت إرادته تحطيمنا ما كان قد هزَّنا، لكن بما أنَّهُ لم يُرد تحطيمنا جاء الزِّلزال مثل نذير، مُحذِّرًا كُلّ إنسان **بغضب الله**، حتى يمكننا من خلال مخافة الله أنْ نُحسِّن من حياتنا ونتجنَّب العقوبة الفعليَّة.

قد فعل ذلك حتى للأمم الأجنبيَّة: «بعد ثلاثة أيام وتنقلب نينوى» (يونان ٣: ٤ الترجمة السبعينيّة)، لماذا لا تقلب المدينة مباشرة؟ أتُنْذِرُ بتدميرها، لماذا لا تدمرها في الحال؟ لأنَّني لا أبتغي الهدم، ولهذا السَّبب أُنذر، وحتى لا أفعل ما أقول أجعل كلمتي تمضي مُسبقًا وتمنع أعمالي. لذلك تكلَّم النبيّ: «بعد ثلاثة أيام وتنقلب نينوى». أمَّا اليوم فالجدران تصدر صوتًا - أقول هذا لكُلٍّ من الفقير والغنيّ ولا أتوقف عن ذلك - لنتأمَّل كم هو رهيب **غضب الله** وكيف أنَّ كُلّ شيء سهل وبسيط أمامه، ولنمتنع عن الشَّر، إذ أنه في وهلة زمنيَّة قصيرة أرهق عقل وثبات كل واحد منَّا، وهزَّ أساسات قلوبنا.

لنتأمَّل في ذلك اليوم الرَّهيب - **الذي عِوَضًا عن لحظة زمنيَّة واحدة يكون دهورًا بلا نهاية - حيث أنهار نار، وغضب مُخيف، وقوات تسحبنا للمحاكمة، وكرسي حكم رهيب، ومحكمة غير فاسدة، وأعمال كل إنسان ماثلة أمام أعيننا، لا يوجد أحد للمساعدة، لا جار ولا محامٍ ولا قريب ولا أخ ولا أب ولا أم ولا صديق ولا أي شخص آخر.**

أخبرني، ماذا سنفعل آنذاك؟!

أَنِّي أجلب لكم مخافة لكي أعِدّ خلاصكم.

قد كتبت درسًا أمضى من الفولاذ حتى يمكن لكل واحد منكم عنده **قُرحة متعفنة** أن يقطعها بواسطته.

أَلَمْ أسأل على الدوام – كما أسأل الآن ولا أكف عن السؤال - إلى متى **تتعلقون بأمور هذا العالم** ؟

أخاطبكم جميعًا وبصورة خاصة أُخاطب أولئك المرضى الذين لا ينتبهون لكلامي. العظة بالأحرى مفيدة لكُلٍّ منكم: للشخص المريض لتجعله صحيحًا، وللشخص الصحيح لتحفظه من السقوط مريضًا.

كم من الوقت يدوم المال؟

كم من الوقت يدوم الغِنَى؟

كم من الوقت تدوم البيوت الفاخرة؟

إلى متى نسعى سعيًا مسعورًا وراء التَّمتع بالأمور المادِيَّة؟

عندما جاء الزِّلزال هل أعانت الثَّروة أيّ إنسان؟ قد تحطَّم عمل الغنيّ والفقير على حَدٍّ سواء، وهلكت الأملاك سويًّا مع المالك، وهلك البيت سويًّا مع البانِي، وصارت المدينة **قَبرًا** مُشتركًا للجميع، **قَبرًا** غير مُشيَّدٍ بأيدي عُمال بل مُجَهَّزٍ بواسطة الكارثة ذاتها، أين **كانت الثروة آنذاك؟ أين كان الطمع؟** أَلم تَرَ كيف كان كُلُّ شيءٍ هَشًّا أكثر من شبكة العنكبوت؟

أَلَمْ تَرَ كيف جلب الله في وهلة زمنيَّة قصيرة كُلّ شيء معًا؟ لذلك راجع نفسك وفكِّر باستمرار في ليلة الزِّلزال. كان الجميع خائفًا من الزِّلزال أما أنا فكنت خائفًا من **سبب الزِّلزال**. هل تفهم ما أعنيه؟ كانوا خائفين لئلا تنهار المدينة فيموتوا، أما أنا فكنت خائفًا لِئَلَّا يكون السَّيِّدُ الرَّبُّ غاضبًا منَّا. الموت ليس بالشيء المُفجِّع لكن المُفجِّع حقًّا هو أنْ تُغضِبَ السَّيِّدَ الرَّبَّ. لذا لم أكن خائفًا من الزِّلزال بل من **سبب الزِّلزال**، إذْ أنَّ **سبب الزِّلزال** هو **غضب الله**، وسبب **غضب الله** هو **خطايانا**. لا تخف مُطلقًا من العقاب لكن **خَفْ من الخطيئة** سَبَبِ العقاب.

هل كانت المدينة تترنح؟ – ما في ذلك؟ – لكن لا تجعل ثباتك يترنح. في حالة الإصابات والأمراض، نحن لا نحزن على أولئك الذين يتمُّ شفاؤهم بواسطة العلاج، بل على أولئك الذين مازال عندهم مرضٌ عُضال. **الخطيئة** تشبه المرض أو الجرح، أما العقوبة فتشبه الجراحة والعلاج.

هل تفهم ما أقوله؟ إنتبه فأريد أن أُعلّمك كلمة حكمة. لماذا نحزن على أولئك الذين يعاقَبون بينما لا نحزن على أولئك الذين **يخْطئون**؟ العقاب ليس بالشيء المُفجع **كالخطيئة**، لأنَّ **الخطيئة** هي سبب العقاب. إذا رأيت شخصًا ما عنده قرحة عَفِنَة والدِّيدان والإفرازات تخرج من جسمه، وتراه مُهْمِلًا جُرْحَهُ الملوَّث، وترى شخصًا آخر عنده نفس المرض إلَّا أنَّهُ ينتفع من أيدي الأطباء بالمعالجة بالكيِّ والجراحة والأدوية المُرَّة، أخبرني، على من منهما ستحزن، على المريض الذي **لا يُعالج** أم على المريض الذي يُعالج؟ بالطريقة نفسها، تصوَّر مُذْنِبَيْنِ واحدًا يعاقب والآخر **لا** يعاقب. لا تقل هذا محظوظٌ لأنَّه غني، يجرِّد الأيتام من ممتلكاتهم ويظلم الأرامل. هو ظاهريًّا لا يبدو مريضًا، فله سمعة جيِّدة بالرَّغمِ من سِرقاته، ويتمتَّع بالكرامة والسُّلطة، ولا يعاني من أيٍّ من المشاكل التي تصيب البشر، لا حُمَّى ولا شلل ولا أي مرض آخر، وتحيط به جوقة من الأطفال، وشيخوخته مريحة، لكنك يجب أنْ تحزن عليه جدًّا لأنه مريضٌ حقًّا ولا يأخذ أيَّ معالجة. سأخبرك كيف.

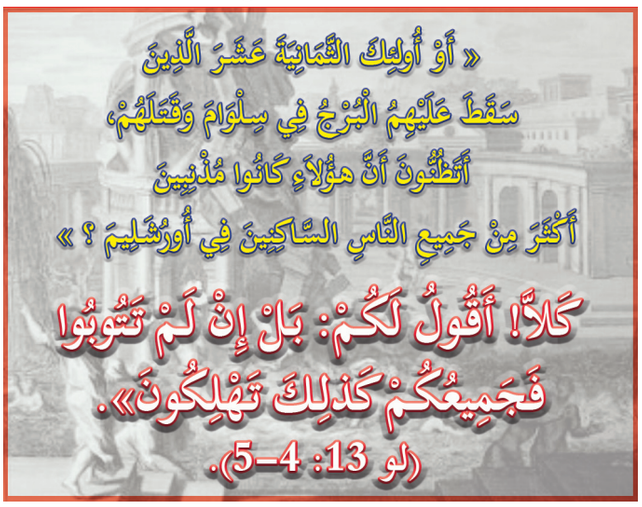

إذا رأيت إنسانًا مصابًا بداء الاستسقاء، وجسمه متضخمٌ بسبب طحال مؤلم، ولا يسرع إلى الطبيب بل يشرب ماء باردًا، ومواظبًا على مائدة مُترَفة، ويسكَرُ كُلّ يوم، ومُحاطًا بحرُّاس، ومهيِّجًا مرضه بكل وسيلة، أخبرني، هل تدعوه محظوظًا أَمْ تعيسَ الحظِّ؟ وإذا رأيت شخصًا آخر مُصابًا بداءِ الاستسقاء لكنه يستفيد من عناية الأطباء، مُطهِّرًا نفسه بالجُّوعِ، وبصعوبة كبيرة يجابه أدويته المُرَّة - التي تؤلمه لكن تجلب له صحةً من خلال الألم - أَلَا تدعُو ذلك الشَّخص أكثر حظًّا من الآخر؟ بالطَّبعِ هو كذلك، إذ أنَّ واحدًا مريضًا **ولا** يُعالَجَ، بينما الآخر مريضٌ وينتفع من العلاجِ.

لكنك قد تقول: **العلاج مؤلم**، حقًّا هو كذلك، إلَّا أنَّ غايته نافعة.

هكذا أيضًا حياتنا الحاضرة، لكنك يجب أنْ تُحوِّل الكلمات من الأجساد إلى الأرواح، ومن الأمراض إلى الذنوب، ومن الطعم المُرّ للأدوية إلى العقاب والحكم الإلهي، وكما أنَّ الأدوية والجراحة والمعالجة بالكيِّ هُي للطبيبِ كذلك التأديب هو للهِ. وكما تُستعمل النار كثيرًا للمعالجة بالكيِّ لمنع انتشار العدوى، وكما تزيل أداة صلبة اللحم المتعفن – مسببة ألمًا لكن مقدمة نفعًا – كذلك الجوع والمرض والتَّجارب الظَّاهرة الأخرى تستخدم على الرُّوح بدَلًا من النَّارِ والأداةِ الصَّلبة، لمنع انتشار المرض ولكي تجعل الرُّوح أفضل.

فلنبتعد عن الخطيئة وبراثنها (مخالبها)، ونطلب التوبة والمغفرة من المسيح الإله، الذي بذل نفسه من أجل خلاصنا، الذي يليق له ولأبيه وروحه القدُّوس كلّ مجد وإكرام وسجود إلى أبد الدهور. آمين.

ما معنى القول: « إِنِّي مِنَ الآنَ لاَ أَشْرَبُ مِنْ نِتَاجِ الْكَرْمَةِ هذَا إِلَى ذلِكَ الْيَوْمِ حِينَمَا أَشْرَبُهُ مَعَكُمْ جَدِيدًا فِي مَلَكُوتِ أَبِي». (مت ٢٦ : ٢٩).

فيما سبق، قلنا أنَّ وَعْدَ هذا الشَّراب الحسن قد أُعطِيَ إلى القديسين، في قولهم: «وَكَأسُكَ تُسْكِرِني كالصِّرف (**صرف = كامل، خالص، غير ممزوج بشيء آخر**)» (مز٢٢:٥).

ملحوظة: تُسْكِرنا كأس الرب، إذ تُنْسينا فكرنا (في الزمنيات)، وتقود النفس إلى الحكمة الروحيَّة... إنها تحرِّر النفس، وتَنزع الغم...! إنها تهب راحة للنفس، إذ تقدم لها فرح الصلاح الإلهي عوض كآبة القلب القائم بسبب ثقل أحمال الخطية. (**القديس كِبريانُس**).

ونقرأ أشياء مماثلة في العديد من مقاطع الكتاب المقدس الأخرى، على سبيل المثال: «وَيَسْكَرُون مِنْ دَسَمِ بَيْتِكَ وَمِنْ وَادِي نَعِيمِكَ تَسْقِيهِمْ» (مز٣٦:٨). وفي سفر إرميا، يقول الرَّبُّ: «وَتَكُونُ نَفْسُهُمْ كَجَنَّةٍ رَيَّا... وَأُرْوِي نَفْسَ الْكَهَنَةِ مِنَ الدَّسَمِ» (إر٣١:١٢-١٤). وإشعيا يقول: «هُوَذَا عَبِيدِي يَفْرَحُونَ وَأَنْتُمْ تَخْزَوْنَ.» (إش٦٥:١٣). حول هذا النوع من السُّكْرِ، تجدون تَذْكِرَة كثيرة في الكتاب المقدس.

بلا شَكٍّ، هذا السُّكر معناه فرح النفس وبهجة العقل. أتذكر أننا في موضع آخر قد ميّزنا بين السُّكر بالليل: «وَالَّذِينَ يَسْكَرُونَ فَبِاللَّيْلِ يَسْكَرُونَ.» (١تس٥:٧) والسُّكر بالنَّهار: «لِنَسْلُكْ بِلِيَاقَةٍ كَمَا فِي النَّهَارِ: لاَ بِالْبَطَرِ وَالسُّكْرِ، لاَ بِالْمَضَاجِعِ وَالْعَهَرِ، لاَ بِالْخِصَامِ وَالْحَسَدِ.» (رو١٣:١٣).

لذا، بعد أن فَهِمْنَا ما هو سُكر القديسين، وكيف أنَّ هذا السُّكر موهوب في الوعود الإلهيَّة لِبهجَةِ القدِّيسين، لنتأمل الآن كيف أنَّ مخلصنا لَنْ يشرب الخمر حتى يشربه جديدًا مع القدِّيسين في ملكوت الله.

إنَّ مخُلِّصي حتى الآن يَرْثُو ذنوبي. إنَّ مخُلِّصي لا يمكنه الابْتهاج بينما أنا مستمر **في الخطيئة**. لِمَ لَا؟ لأنَّهُ شفيعٌ عن خطايانا أمام الآب، كما يُعلن تلميذه يوحنا الكاهن قائلًا: « وَإِنْ أَخْطَأَ أَحَدٌ فَلَنَا شَفِيعٌ عِنْدَ الآبِ، يَسُوعُ الْمَسِيحُ الْبَارُّ، وَهُوَ كَفَّارَةٌ لِخَطَايَانَا» (١يو٢:١-٢). كيف إذًا ذاك «**الشَّفيع عن خطاياي**» يشربُ خمرَ الفرح متى أحزنته أنا **بالإثم**؟ كيف هذا الذي يقترب من المذبح ليقدِّم ذاته عن خطاياي، يبتهج متى كانت أحزان ذنوبي تصعد إليه دائمًا؟ هو يقول: «أَشْرَبُهُ مَعَكُمْ جَدِيدًا فِي مَلَكُوتِ أَبِي» (مت٢٦:٢٩). لا يمكنه شرب الخمر وحده - الذي وَعَد بِشُرْبِهِ مَعَنا - طالما نحن لا نتصرَّف بما يليق للصُّعود إلى الملكوت. لذا، فهو في حُزْنٍ طالما نحن مستمرون في الخطأ.

لأنَّهُ إذا كان رسوله بولس يقول: «وَأَنُوحُ عَلَى كَثِيرِينَ مِنَ الَّذِينَ أَخْطَأُوا مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَتُوبُوا عَنْ أَفْعَالِهِم...» (٢كو١٢:٢١)، فماذا أقول عن ذاك الذي يُدعى «...ابْنِ مَحَبَّتِهِ» (كو١:١٣)، الذي «... أَخْلَى نَفْسَهُ.» (في٢:٧)، من أجل عِظَمِ محبَّته لنا؟ بالرَّغم من كونِهِ «مُعَادِلًا للهِ.» (في٢:٦)، لَمْ «يَطْلُبْ مَا هُوَ لِنَفْسِهِ» (في٢:٤). بل طلب ما لنا وأخلى نفسه من أجل هذه الغاية. إذا كان هكذا الرَّبَّ (بتجسُّدِهِ) قد ٱلتمس صالحنا، أَلَا يلتمسنا الآن؟ أَلَا يُفكِّر في ما هو لخيرنا؟ أَلَا يحزن على أخطائِنَا؟ وألَّا يبكي على **خرابنا وإخفاقاتنا**؟ ذاكَ الذي بَكَى على أورشليم وقال لها: «يَا أُورُشَلِيمُ، يَا أُورُشَلِيمُ! يَا قَاتِلَةَ الأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا، كَمْ مَرَّةٍ أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلاَدَكِ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاخَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا، وَلَمْ تُرِيدُوا!» (متى ٢٣ : ٣٧).

إذن، كيف يمكن لذاك الذي تحمَّل جراحاتنا وتألَّمَ من أجلنا - كطبيب لنفوسِنَا وأجسادِنَا - يكون غير مُبَالٍ قطُّ **بِنَتَانَةِ جروحنا**؟! – كما يقول النبيّ: «قَدْ نَتِنَت وَقَاحَت جِرَاحَاتِي مِنْ قِبَلِ جَهَالَتِي» (مز٣٧:٥).

إذًا، لهذه الأسباب، الرَّبُّ «يَظْهَرُ الآنَ أَمَامَ وَجْهِ اللهِ لأَجْلِنَا.» (عب٧:٢٥،٩:٢٤). يقف أمام المذبح ليقدم للهِ شفاعة من أجلنا. وبينما كان على وشك الاقتراب من هذا المذبح قال: « مِنَ الآنَ لاَ أَشْرَبُ مِنْ نِتَاجِ الْكَرْمَةِ هذَا إِلَى ذلِكَ الْيَوْمِ حِينَمَا أَشْرَبُهُ مَعَكُمْ جَدِيدًا فِي مَلَكُوتِ أَبِي». (مت ٢٦ : ٢٩). لذا، هو ينتظر مِنَّا أنْ نتغيَّر، أنْ نُحاكِي مِثَالَهُ، أنْ نَتتبَّع خَطواته، وذلك لكي يبتهج معنا، ويشرب الخمر معنا في ملكوت أبيه.

ولأنَّ «الرَّبُّ رحومٌ ورؤوفٌ» (مز١٠٢:٨)، فهو يبكي مع الباكين، ويتوق للفرحِ مع الفَرِحين «فَرَحًا مَعَ الْفَرِحِينَ وَبُكَاءً مَعَ الْبَاكِينَ.»

تابع في صفحة ٢١

تتمة : المقالة الأولى
في الزهد في هذا العالم الباطل واعتزاله

١١) – ولعمري أنَّهُ قبيحٌ حقًّا ومقرونٌ بالخطر أن يجبن المصَارع حال دخوله حلبة المصارعة، فيُعطي الكُلّ الدليل على قُرب سقوطه. هذا ولا شَكَّ في أنَّ ابتداءنا في السيرة الرهبانيَّة بِنَشاط يفيدنا فيما بعد في أوقات التواني، لأنَّ ذِكر الهمَّة الأولى ينخز النَّفس الشَّهِمَة إذا مالت إلى الاسترخاء. ولذلك كثيرًا ما استعادَ البعضُ اندفاعهم بفعل هذا النَّخز.

١٢) – إذا أضاعت النَّفسُ حرارتها المُبارَكة فلتبحث عن العِلَّة بعناية، ولتقاومها بكُلِّ عزمها وحِرصها. إذْ ليسَ لها أنْ تَستعيد حرارتها المنشودة إلَّا من الباب الذي خرجت منه.

١٣) – مَنْ يَزهَد بالدُّنيا خوفًا من العقاب قد يُشبه يومًا البخور الذي تفوحُ رائحته الزَكيَّة أوّل ما يُحرَق ثُمَّ ينتهي بالدخان. ومن يزهد طمعًا بالثواب يشبه حمار الطاحون الذي يدور دائمًا على منوالٍ واحد. ومن يعتزل العالم حُبًّا باللهِ يمتلك للحالِ نارًا كالتي إذا ما أُلقِيَت في غابَةٍ، تضرم كُلّ يومٍ نارًا اشدَّ اشتعالًا.

١٤) – يبني البعض فوق الحجارة لبنًا، ويشيد غيرهم على التُّرابِ أعمدة. ويعدو آخرون مسافة فتسخن منهم الأوصال فيزداد عَدْوُهُم إسراعًا. من يستطيع أنْ يفهم هذا القول الرَّمزي فليَفهم.

١٥) – ما دامت أيامنا معدودة فَلْنَسعَ بِهِمَّةٍ ونَشاط كمن دعاهم إلٰههم وملكهم لِئَلَّا نوجَد بلا ثمر يوم الوفاة فنهلك جوعًا. وَلْنُرضِ الرَّبَّ كما يُرضِي الجُندُ الملك لأنَّنا سَنُطَالَب بِدِقَّةٍ ما دُمنا انخرطنا في خِدمته. ولنَخشَ الرَّبَّ كما نخشى الوحوش الضَّارية، لأنِّي رأيتُ أُناسًا ذاهبين لِيَسرقوا وهم لا يخافون الله، ولكنهم إذْ سَمعوا في المحلَّةِ نُباح الكِلاب رجعوا أدراجهم في الحين، فما لم يصنعه خوف الله صنعه خوف الوحوش. ولْنُحِبّ ربَّنا كما نُحِبُّ اصدقاءنا، لأنِّي كثيرًا ما شاهدتُ أُناسًا قد أساؤوا إلى اللهِ ولم يُبالوا بذلك البَتَّةَ، ثُمَّ رأيتهم هُمْ أنفسهم قد أسخطوا أخِلَّاءهم لسَبَبٍ تافِهٍ فسعوا لتلافي الأمرَ بكُلِّ وسيلة وحيلة ونَدم واعتذار، مباشرة وعن طريق الأصدقاء، غير ضَانِّينَ بالهدايا (لم يبخلوا بالهدايا) لكي يستعيدوا حبّهم الأوّل.

١٦) – منَ البيِّنِ أنَّنا نُمارس الفضائل في أوائل زُهدنا بتعبٍ ومرارة. وإذ تقدَّمنا في الطريق لا نعود نحس بغَمٍّ، أو نشعر من الغمِّ في مُمارستها. أمَّا إذا اجتاحت الغيرة (المقدسة) قلوبنا واستولت عليها ، نمارس عندها الفضائل بكُلِّ فَرَحٍ وهمَّةٍ وشَوقٍ وباضطرام إلهيّ.

١٧) – بمقدار ما يجب الثَّناء على الذين يُمارسون الفضائل ويُتَمِّمُون الوصايا بفَرَحٍ وهمَّةٍ منذ بدء زُهدهم، بذلك المقدار ينبغي التَّحَسُّر على الذين يطول زمانهم في النُّسك ولا يزالون يُمارسون الفضائل بتعبٍ وإن كانوا يُمارسونها.

١٨) – لا نرذلنَّ أو نذمَّنَّ الزهد الناجم عن ظروفٍ عارضة، فإنِّي رأيتُ أُناسًا كانوا هاربين فصادفوا الملك آتيًا نحوهم فاضطروا إلى الانضمام إلى مُرافقيه اضطرارًا ودخلوا معه قَصره واكلوا على مائدته. وشاهدتُ بذارًا قد سقطت على أَرضٍ عَرَضًا فأثمرت ثمرًا يانِعًا بِوَفرَةٍ، ولكنِّي شاهدتُ العكسَ أيضًا. ورأيتُ إنسانًا مريضًا قُدِّم إلى المستشفى لحاجَةٍ ما، غير الاستشفاء، ولكن لُطف الطبيب أَسَرَهُ فعُولِجَ مُرغَمًا فأُزيلَت الغشاوة عن عينيه. وهكذا صارت الأعراض الكُرهيَّة عند البعض أثبَت من الأفعال الطوعيَّة وأَنفذَ.

١٩) – لا يَتَذَرَّعنَ أحدٌ بِثِقَلِ خطاياه وكثرتها مُدَّعِيًا أنَّهُ غير مستحق للاسكيم الرهباني، ولو لأجلِ تمتُّعه بأهوائه يظنّ أنَّهُ يتواضع في حين أنّهُ يتعلَّل بعلل الخطايا. لأنَّهُ حيثُ يَكثُر التقيُّح تشتدُّ

الحاجة إلى التَداوي في سبيل إخراج النتن. أمَّا الأصحاء فلا يذهبون إلى الطبيب.

٢٠) – لو استَدعانا ملكٌ من ملوك الأرض ورغبَ الينا في أن نخدم بين يديه، لَمَا تَنصَّلنا أو تأخرنا البَتَّة عن تلبية دعوتهِ بل لتركنا كُلّ شيء وبادرنا بنَشاطٍ إلى الالتحاقِ بِهِ. فإن كان ملك الملوك وربّ الأرباب وإله الآلهة يدعونا إلى خدمته السَّماويَّة فلنحترس بالتَّالي لِئَلَّا نستعفي من الخدمة بدافع التهاون والتواني، فنوجَد بلا عُذرٍ في يومِ الدِّين. ولعمري فَإنَّ من يرتبط بهموم هذا العمر وأغلاله وقيوده الحديديَّة، قد لا يعجز عن المشي ولكنَّه يمشي بعناء. لأنَّ المُصَفَّدة أرجلهم في الحديدِ قد يمشون إلَّا أنَّهم لا ينفكُّون يتعثَّرون ويتجرَّحون. أمَّا المُرتَبِط بأعمال هذا الدهر دون أن يكون متزوِّجًا فيشبه من أُوثِقَت يَداه فقط، ولذا لا يوجد ما يمنعه من الانخراط في السيرة الرهبانيَّة متى شاءَ. **وأمَّا المُتزوِّج فيماثل من قُيِّدَت يَداهُ وَرِجلاهُ معًا.**

٢١) – قالَ لي ذات مرَّة أُناسٌ عائشون في العالم بالتواني: كيف نستطيع أن نسلُك رهبانيًّا ونحنُ متزوِّجون ومُنهَمِكون في هموم الحياة؟ فأجبتهم: افعلوا ما استطعتم من الصالحات، لا تُعَيِّروا أحدًا، لا تَخدَعوا أحدًا، لا تَسرقوا أحدًا، لا تتشامخوا على أحد، لا تمقتوا أحدًا، لا تنقطعوا عن صلوات الكنيسة، اعطفوا على المحتاجين، لا تُعثِروا أحدًا، لا تقتربوا من نصيب غيركم بل اكتفوا بِنِسائكم. إن فعلتم هذا فلن تكونوا بعيدين عن ملكوت السموات.

٢٢) – لِنَعُد في الجهاد الصَّالح بفرَحٍ وخشية ولا نَخَف أعداءنا (الشياطين) لأنَّهم إنَّما يُراقبون وجوه نفوسنا وهم غير منظورين، فإنْ رأوها متغيِّرة من الخوفِ فَطِنُوا لِجُبْنِنَا حالًا وهاجمونا بأكثر ضراوة. فلنُقاتلهم إذًا بشجاعة وشهامة، لأنَّ من يُحارب بشهامة لا يُهاجمه أحد.

٢٣) – إنَّ الرَّبَّ يخفِّف القتال عن المبتدئين وذلك سياسة منه لِئَلَّا يَخوروا فيرجعوا للحال إلى العالم. فافرحوا إذًا بالرَّبِّ في كُلِّ حين يا سائر عبيده، واعلموا أنَّ هذه إنما هي العلامة الأولى لمحبَّة المسيح السيِّد لنا ولدعوته إيَّانا. ولكن الله أيضًا، إذا ما رأى نفوسًا شُجاعة، كثيرًا ما يُعَرِّضها للقتالات منذُ البدء، كما هو معروف، مُبتغيًا أن يُكَلِّلها سريعًا. وهو يخفي عن العائشين في العالم مشقة معركة الزُهد، (بل سهولتها في الحقيقة) لأنهم لو عرفوها لما زَهِدَ في الدنيا أيّ ذي جسد.

٢٤) – قَدِّم للرَّبِّ أتعاب شبابك فتفرح في شيخوختك بغنى اللاهوى. فإنَّ ما يُدَّخَر في الصِّبا يُغذِّي الذين يضعفون في الشيخوخة ويُعَزّيهم. فلنَبذُل إذًا جهدنا في حداثتنا وَنَجِدَّ في السَّير ساهرين، لأنَّ ساعة المَوتِ مجهولةٌ، واعدءنا أشرارٌ حقًّا وَشَرِسون، مُخادِعون وَمُحتالون، أَشِدَّاء لا يَنامون قَطّ، وهُم غير منظورين ولا جسديُّون، وفي أيديهم نار يرغبون أنْ يَحرقوا بها هيكل الله لاتِّقادِ حَسَدهم. فلا يقبَلَنْ أحدٌ في شبابه **مشورة أعدائه الشياطين القائلين** له: لا تَضنِ جسدك لِئَلَّا تنتابك الأمراض والأسقام. لأنَّنا نَكاد لا نَجِد شابًا، لا سِيَّما في جيلنا الحاضر، يعزم على إماتة جسده حقيقةً وإلى النهاية، وإن كانَ يحرم ذاته كثيرًا من الأطعمة اللذيذة. وغرض الأبالسة من إيحائهم هذا أنْ يجعلوا دخولنا في الزُهد مشوبًا بالاسترخاء والتواني منذُ البَدءِ. وبالتَّالي أنْ يجعلوا النهاية مُطابقة للبداية.

٢٥) – على الذين عَزَموا على خدمة المسيح حقيقةً أن يَعمَدوا قبلَ كُلِّ شيء إلى اختيار المكان والطريقة والسُكنى والمُمارسات النُسكيِّة التي تلائمهم، وذلك باستطلاعهم الشخصي ومعونة الآباء الرُّوحيِّين، لأنَّ الأديرة ذات المعيشة المشتركة لا توافق كُلّ الناس من جهة الشَّراهة، وكذلك فإنَّ مواضع العُزلة والسُّكون ليست للجميع من جهة الغضب. فليفحص كُلُّ واحدٍ إذًا ما يوافقه.

٢٦) – تنحصر السِّيرة الرهبانيَّة كلّها في مناهج ثلاثة وهي: الاعتزال في جهاد منفرد، أو الإخلادِ إلى السكون برفقة شخص أو شخصين آخرين، أو الإقامة بصبر في دير ذي معيشة مشتركة. ويقول الكتاب: «لا تَمِلْ يَمنة ولا يَسرة» (امثال ٤:٢٧)، «بل اسلك الطريق الملوكيَّة» (عدد ٢٠:١٧)، لأنَّ الطريق الوسطى بين المناهج الثلاثة الآنفة الذِّكرِ تُلائم الكثيرين، وقد قيل: «ويلٌ لمن هو وحده لأنَّهُ إنْ وَقَع» في ضَجَر أو غفوة أو توانٍ أو يأس «فليسَ له من يُقيمه» (الجامعة ٤:١٠)، لكن «حيث اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي أكون في وسطهم» (متى ١٨:٢٠) يقول الرَّبُّ.

٢٧) – فمن هو يا تُرى الراهب الأمين الحكيم؟ هو من يحفظ غيرته متَّقِدَةً إلى النهاية، ولا يزال حتى الممات يزيد كُلّ يوم على نارِهِ نارًا، وعلى اضطرامه اضطرامًا، وعلى شوقه شوقًا، وعلى همَّته ونَشاطه نشاطًا دون انقطاع.

هذه درجة أولى، ومن وَطِئَهَا فلا يعودَنَّ إلى الوراءِ.

«إنَّ الغَنيَّ عبدٌ مُعرَّضٌ للخسارة، يعطي فرصة لكل من يَوَدُّ أنْ يُلحِقَ بِهِ الأذى، أمَّا الذين لا يملكون شيئًا، فلا يخشَوْنَ مُصادرة أملاكهم أو تغريمهم.

فإذا كان الفقر يجعل المرء شُجاعًا، فالمسيح أرسل تلاميذه فقراء، وطالبهم بأنْ يكونوا شُجعانًا بواسِلَ. الفقراء أشدَّاء، وليس ثمّة ما يُسيء إليهم، أمَّا الغَنيُّ فيمكن السَّيطرة عليه من كُلِّ جِهةٍ.

سَهلٌ الإمساك بمن يَجرُّ وراءه حبالاً كثيرة، أمَّا الإمساك بالعُرْيانِ فإنَّه أمرٌ صعبٌ للغاية.

هكذا يحدث للغَنِيِّ: خدم، ذهب، حقول، وآلاف من الاهتمامات والضرورات تسيطر عليه بسهولة».

القديس يوحنا ذهبي الفم

الرسالة

صَلُّوا واوفوا الرَّبَّ الهنا الله معروفٌ في أرض يهوذا

فصل من رسالة القديس بولس الرسول إلى العبرانين (عب ٩: ١١– ١٤)

يا إخوةُ، انَّ المسيح إذ قد جاء رئيس كهنةٍ للخيرات المستقبلة فبمَسكنٍ أعظم وأكمل غير مصنوعٍ بأيدٍ أي ليس من هذه الخليقة ❊ وليس بدم تيوسٍ وعجولٍ بل بدم نفسِه دخل الأقداس مرَّةً واحدة فوَجَدَ فداءً أبديًّا ❊ لأنَّهُ إن كان دمُ ثيرانٍ وتيوسٍ ورماد عِجلةٍ يُرشُّ على المُنَجَّسين فيُقدّسهم لتطهير الجسد ❊ فكم بالأحرى دمُ المسيح الذي بالرُّوح الأزليّ قرَّب نفسَهُ لله بلا عيبٍ يُطهّرُ ضمائركم من الأعمال الميِّتة لتعبدوا الله الحيَّ.

«انَّ المسيح إذ قد جاء رئيس كهنةٍ للخيرات المستقبلة فبمَسكنٍ أعظم وأكمل غير مصنوعٍ بأيدٍ أي ليس من هذه الخليقة» (عب٩: ١١).

إنَّ العهد القديم، العبادة القديمة والكهنوت القديم لم يكونوا لِيُصعدوا الناسَ إلى السماء. أمَّا المسيح فقد: **«دخل الأقداس مرَّةً واحدة »** (عب٩: ١٢).

لقد جاءَ المسيحُ إلى العالم لأجل هذا الهدف، جاءَ بمثابة رئيس كهنة. قال: **« قد جاء رئيس كهنةٍ»**. ولم يَقُل أصبَحَ رئيس كهنة بعد مجيئه: أي هدفه ونهاية عمله على الأرض هو عمل رئيس الكهنة **أَنْ يُذبَح جَسَده «أنْ يُقدِّم نفسه ذبيحة» على الصليب من أجلِ خطايانا** كما سَبَقَ وقالَ عن طريقِ النبي داود، والرسول بولس يشهد على ذلك:

«لِذلِكَ عِنْدَ دُخُولِهِ إِلَى الْعَالَمِ يَقُولُ: «ذَبِيحَةً وَقُرْبَانًا لَمْ تُرِدْ، وَلكِنْ هَيَّأْتَ لِي جَسَدًا.» (عب ١٠: ٥).

لَمْ يَقُل أيضًا إنَّ المسيح هو رئيس كهنة للحيوانات المذبوحة، بل رئيس كهنة «للخيراتِ المُستقبلة»، طالما أنَّ الكلام لا يستطيع أنْ يَصِف بِدِقَّةٍ العطايا كلّها التي منحنا إيَّاها المسيح، ولذلك سمَّاها الرسول لنا باختصار: «للخيراتِ المُستقبلة»، عتيدة أي مستقبليَّة بالنسبة لأيَّام النَّاموس القديم.

لقد سَمَّى خيرات الناموس القديم خيرات حاضرة « لِلْوَقْتِ الْحَاضِرِ» (عب ٩: ٩). ويُسَمّي هنا خيرات العهد الجديد «المُستقبلة» أي العتيدة، هذا لأنَّهُ في الدهر الآتي سوفَ تُكشَف لنا كاملةً خيراتُ المسيح وهباته.

«فَبِالْمَسْكَنِ الأَعْظَمِ وَالأَكْمَلِ»:

يُسَمّي الرسول هنا **جسد المسيح «مسكنًا»**. هذا الجسد هو أعظم من المسكن القديم المصنوع بِيَدٍ، لأنَّ كلمة الله وقوَّة الرُّوح كلّها تكمن فيه. كما يقول **يوحنَّا اللاهوتي:**

«لأَنَّهُ لَيْسَ بِكَيْلٍ يُعْطِي اللهُ الرُّوحَ.» (يو٣: ٣٤).

هذا المسكن، جَسَدُ الرَّبّ، هو إذًا أكمل، كما أنَّهُ أنجزَ أُمورًا أَكْمَلَ وأسمَى. كان المسكن الأوَّل في العهد القديم رمزًا لجسد المسيح كما يقول **القدِّيس غريغوريوس النِّيسي.**

«غير مصنوعٍ بأيدٍ أي ليس من هذه الخليقة» (عب٩: ١١).

هنا ينبري الهراطقة قائلين: إنَّ جسد المسيح كان سماويًّا وهوائيًّا.

أمَّا نحنُ فنُجيب: إنّ كان الرسول يعتبر الجسد سماويًّا، فهذا لا يعني أنَّهُ حتمًا ليسَ من هذه الخليقة، لأنَّ السماء نفسها هي من هذه الخليقة. ما هو إذًا قصد الرسول؟ المسكن القديم صنعته يدا بصلئيل مع معاونِيهِ، إلَّا أنَّ جسد المسيح، الكلمة الإلهيَّة، **نَسَجَهُ الرُّوح القُدُس،** ولذلك قال: **«ليس من هذه الخليقة» (عب٩: ١١)**. هو من الكائنات المخلوقة مادَّتها، لكنه إلهيٌّ وروحانيٌّ. فإنَّهُ ليسَ مِن كائنٍ مخلوقٍ يستطيع أنْ يحوي في ذاتِهِ الكلمة الإلهيَّة، إلَّا أنَّ جسد المسيح هو مُتَّحِد أقنوميًّا بالكلمة الإلهيَّة.

إذًا جسد المسيح بمادتهِ كان مثلنا، شبيهًا في جوهره لطبيعتنا، كما أُخِذَ من دماءِ العذراء القديسة الكليَّة الطهارة. أمَّا طريقة تكوينه فكانت تفوق طبيعتنا لأنَّهُ كان متَّحِدًا أُقنوميًّا بالكلمة الإلهيَّة.

❊ يقول **القدِّيس ديونيسيوس الأريوپاچي** في رسالته الرابعة الى غايوس: « ليسَ يسوع إنسانًا فقط، بل إنسانًا حقيقيًّا فائق البَشَر وبحسب البَشَر، لأنَّهُ من جوهر البشر المُتَكَوِّن بما يفوق الكائنات. تنازل عن ميراثه وأصبَحَ جوهرًا بالحقيقة يعمل بشريًّا بما يفوق البَشَر. حُبِلَ بهِ من عذراء بطريقَةٍ سِرِّيَّةٍ فائقة جسدًا بَشَريًّا كاملًا تَكمُنُ فيهِ قُوَّةٌ فائقةُ الإنسانِ، ولِمَحَبَّتِهِ للبَشَرِ تنازَل كإنسان عاملًا عملًا إلهيًّا لا بَشَريًّا فقط. برجولة بشريَّة إلهيَّة جديدة بقوَّة الإله الإنسان» (Kypseli III القديس نيقوديموس، صفحة ٦١٠).❊

كانت المادة القديمة من خشب وجِلد وذهب وفضّة ونُحاس وقماش، ولذلك قال الرسول: إنَّ جسد المسيح لم يَكُن من هذه المادة التي اُستخدِمَت لِصُنْعِ المسكن القديم. كلام بولس كُلّه هنا يُستَخْدَم للمقارنةِ مع القديم وللسموّ عليهِ. سُمِّيَ جسد المسيح «مسكنًا» لأنَّ ابنَ اللهِ الوحيد سَكَنَ فيه، ويُسَمِّيهِ أيضًا: «الحجاب» (عب ٩: ٣). لأنَّهُ يُغلِقُ على القُدسات السماويَّة، أي الألوهة غير

الظاهرة على الأرض.

● **«وليس بدم تيوسٍ وعجولٍ بل بدم نفسِه دخل الأقداس مرَّةً واحدة فَوجَدَ فداءً أبديًّا» (عب٩:١٢).**

كُلُّ شيء يختلف الآن عن الكهنوت القديم بمجيء كهنوت المسيح. بِقَدْرِ ما يسمو المسيح على رؤساءِ الكهنة القُدماء، بهذا القَدْرِ يسمو الدَّم الإلهيّ على دم الحيوانات الذي به كان يَدخلُ رئيسُ الكهنة إلى قُدس الأقداس.

«ثُمَّ يَأْخُذُ (هٰرون) مِنْ دَمِ الثَّوْرِ وَيَنْضِحُ بِإِصْبَعِهِ عَلَى وَجْهِ الْغِطَاءِ إِلَى الشَّرْقِ. وَقُدَّامَ الْغِطَاءِ يَنْضِحُ سَبْعَ مَرَّاتٍ مِنَ الدَّمِ بِإِصْبَعِهِ. «ثُمَّ يَذْبَحُ تَيْسَ الْخَطِيَّةِ الَّذِي لِلشَّعْبِ، وَيَدْخُلُ بِدَمِهِ إِلَى دَاخِلِ الْحِجَابِ ...» (لاويّين ١٦:١٤-١٥).

المسيح الذي «**جاء رئيس كهنةٍ**» (**عب٩:١١**). «**دخل الأقداس مرَّةً واحدة**» (**عب٩:١٢**). أي إلى السَّماءِ. ﴿كما سيقولُ فيما بعد: «لأَنَّ الْمَسِيحَ لَمْ يَدْخُلْ إِلَى أَقْدَاسٍ مَصْنُوعَةٍ بِيَدٍ أَشْبَاهِ الْحَقِيقِيَّةِ، بَلْ إِلَى السَّمَاءِ عَيْنِهَا، لِيَظْهَرَ الآنَ أَمَامَ وَجْهِ اللهِ لأَجْلِنَا.» (**عب٩:٢٤**).﴾ هناك لَمْ يَجِد تطهيرًا مُؤَقَّتًا للأجسادِ، كما كان الحال مع رؤساء الكهنة القُدماء، بل: «**وجَدَ فداءً أبديًّا**» (**عب٩:١٢**)، تحريرًا أبديًّا لخطايا الناس، أو بعبارة أُخرى غُفرانًا دائمًا. يستخدم الرسول كلمة: «**وجَدَ**» دالًّا على أنَّ الحدث حَصَلَ فَجأةً بدونِ توقُّعٍ سابق، لأنَّ تَحَرُّرَنَا من الخطايا كان أمرًا مُدهشًا حَقَّقه المسيح وحده.

● **«لأَنَّهُ إن كان دمُ ثيرانٍ وتيوسٍ ورماد عِجلةٍ يُرشُّ على المُنَجَّسين فيُقدّسهم لتطهير الجسد» (عب٩:١٣).**

لَمْ يَكُن يُصَدَّق أنَّ المسيحَ بِمُجَرَّدِ ذبيحةِ جسدِهِ ودمِهِ، جَلَبَ الغفران الأبدي لكل الناس (أيّ التحرُّر من الخطايا كلّها). لذلك يقول الرسول هنا: إنَّ هذه الحقيقة تتبيَّن من خلال اعتقاد اليهود القديم إذْ كانوا يؤمنون بأنَّهم يتطَهَّرون عندما يُرَشُّ عليهم دم العجلة ورمادها المرشوش مع الماء.

﴿يذكُر سفر العدد (الإصحاح ١٩) أنَّ العجلة أو البقرة هي حمراء بلا عيب، بلا نير وَضِعَ عليها، تُذبَح خارج المحلَّة وتُحرَق مع جلدها، ويُحفظ الرَّماد في مكانٍ نظيف خارج المحلَّة لِيُطَهِّر أولئك الذين سوفَ يلمسون جسَدًا ميتًا مقتولًا أو عظمًا بَشَريًّا أو قبرًا. عندما يُرَشّ الرَّماد عليهم كانوا يَتطهّرون.

كانت العجلة رمزًا لجسد المسيح ولآلامه الخلاصيَّة حسب **ثيوذوريتوس والقديس كيرلُّس الاسكندري.**

اللون الأحمر يُشير إلى جسدِ المسيحِ الأرضي. بلا عيب إشارة إلى المسيحِ المُنَزَّهِ عن الخطيئة. بلا نير إشارة إلى حُريَّةِ المسيح. وتُذبَح خارج المحلَّة إشارة إلى صَلبِ المسيحِ خارج أسوار أورشليم ﴾.

كيفَ أنَّ دم المسيح لا يُطَهِّر بالأحرى مِن دَنَسِ الخطايا؟ لاحظ كيفَ أنَّ الرسول لَمْ يَقُل إنَّ دم التيوس يُطَهِّر، بل قالَ «يُقَدِّس»، ليسَ لأنَّهُ كان يعتقد ذلك في أيام الناموس، بل لأنَّهُ كان يُريد أن يُصَحِّح إعتقاد الشَّعب. فهو يقصد ما يلي:

إنْ كُنتم تُؤمنون بأنَّ دَمَ التيوس يُعطي تقديسًا، فكَم بالأحرى يُعطي المسيح تقديسًا أكبر ؟ لم يَقُل «يُقَدِّس» من أجلِ الإعلاء من شأن الذبائح اليهوديَّة، لأنَّه أضافَ: « **لتطهير الجسد**» مُبَيِّنًا أنَّ دم التيوس لم يَكُن يُطَهِّر النُّفوس بل فقط الجسد.

﴿كانَ دم الثيران والتيوس يُطَهِّر لأنَّهُ كان رَسمًا لذبيحة المسيح، رسمًا لِدَمِ المسيحِ المهراق على الصليب، وكذلك للإفخارستيَّة الإلهيَّة، الذَّبيحة الإلهيَّة غير الدمويَّة هذا ما قاله: **القديس غريغوريوس اللاهوتي.**

ويُضيف **القدِّيس يوحنا الذهبي الفم:** «لَم تَكُن الذبائح الحيوانيَّة لِتُرضي الله، لكنَّهُ كان يسمح بها بمثابة رسم لتدبير المسيح الآتي. لم تَكُن تُسرّ الله، لكنها كانت تُقبَل كصورةٍ سابقة للمسيح، ورسمٌ للمستقبلات. الحَمَل رمزٌ للمسيح. العجلة أو البقرة صورة للمخَلِّص» (العظة ١٦٦، الجزء الخامس)

المسيح في النهاية هو الذي يُطَهِّر النَّفس والجَسَد﴾.

● **«فكم بالأحرى دمُ المسيح الذي بالرُّوح الأزليّ قرَّب نفسَهُ لله بلا عيبٍ يُطهّرُ ضمائركم من الأعمال الميِّتة لتعبدوا الله الحيَّ.» (عب ٩:١٤).**

لَمْ يُقَدِّم المسيحَ أيُّ رئيس كهنة آخر، بل المسيح قَدَّمَ نفسَهُ بِنَفسِهِ لله.

﴿ المسيح واحد بحسب الشخص والأقنوم، له طبيعتان إلهيَّة وإنسانيَّة، قَدَّمَ نفسه كرئيس كهنة فأصبَحَ ضحيَّة مُقَدَّسة للهِ الآب (كونه إنسانًا) ولِنفسِهِ أيضًا (كونه إلهًا). فهو المُقَدِّم والمُقَدَّم المُقَرِّب والمُقَرَّب، وله قُدِّمت الذَّبيحة. لذلك قال: **القديس غريغوريوس اللاهوتي.**

(« ليسَ أحدٌ مثله عظيمًا كونه إلهًا وضحيَّةً ورئيس كهنة»)

«**بلا عيبٍ**» أي بلا خطيئة، كما كانت العِجلة الرَّمز بلا عيب أي غير مُعاقَة وغير مريضة جسديًّا.

«**يُطهّرُ ضمائركم من الأعمال الميِّتة.**» (**عب ٩:١٤**).

هناك، بالنسبة للذائح الحيوانيَّة، الدَّم «يُقَدِّس إلى طهارة الجسد»، بينما هنا دَم المسيح يُطَهِّر الضَّمير. ولذلك أسمى بكثيرٍ من الذبائح القديمة. يُطَهِّر الإنسان الداخليّ، النَّفسَ والقَلبَ. كان دم الذبائح يُطَهِّر كُلّ من يَلمِس ميتًا، أمَّا دم المسيح فهو يُطَهِّر الناس من «أعمال ميتة»، أي من الخطايا والأدناس التي تُدَنِّس النفس الإنسانيَّة وتفصلها عن الله.

«**لتعبدوا الله الحيَّ.**» (**عب ٩:١٤**) :

كُلّ من عمل أعمالًا ميتة خاطئة لا يعبد «الله الحيّ»، يعبد أهواءه ويؤلّهها. الشَّرِه يعبد بطنه «إلههم بطنهم» (فيلبي ٣:١٩)، «الطمَّاع هو عابد للأوثان» (أف ٥:٥).

الأعمال ميتة، ليس لأنَّها تفصل الإنسان عن الحياة الأبديَّة، بل لأنَّها أيضًا وفي الوقت الحاضر دَنِسَة كريهة كالجثث الميتة. وهي أيضًا كاذبة لأنَّها تخدع الإنسان في البداية عن طريق اللذَّة، وفي النهاية تُصبح كلّها مرارة. ■

الإنجيل

فصلٌ شريف من بشارة القديس يوحنا الإنجيلي البشير، التلميذ الطاهر (يو ١٢: ١-١٨)

قبل الفصح بستة أيامٍ أتى يسوع إلى بيت عنيا حيث كان لعازر الذي مات فأقامَهُ يسوع من بين الأموات ✻ فصنعوا له هناك عشاءً، وكانت مرتا تخدم وكان لعازر أحدَ المتكئين معهُ ✻ امَّا مريم فأخذت رِطْل طيبٍ من ناردين خالصٍ كثير الثمن ودهنت قدمَيْ يسوع ومسحت قدميه بشعرها ✻ فامتلأ البيت من رائحة الطيب ✻ فقال احد تلاميذِه، يهوذا بن سمعان الإسخريوطيُّ، الذي كان مُزمعًا أن يُسْلِمهُ: لِمَ لَمْ يُبَعْ هذا الطيب بثلاث مئة دينارٍ ويعْطَ للمساكين؟ ✻ وإنَّما قال هذا لا اهتمامًا منهُ بالمساكين بل لأنَّه كان سارقًا وكان الصندوق عندهُ وكان يحمل ما يُلقَى فيه ✻ فقال يسوع: دَعْهَا، إنَّما حَفِظَتْهُ ليوم دفني ✻ فإن المساكين هم عندكم في كلِّ حينٍ، وأمَّا أنا فلستُ عندكم في كلِّ حينٍ ✻ وَعَلِمَ جمعٌ كثيرٌ من اليهودِ أنَّ يسوع هناك فجاءُوا، لا من أجل يسوع فقط، بل لينظروا أيضًا لعازر الذي أقامَهُ من بين الأموات ✻ فأْتَمَرَ رؤَساء الكهنة أن يقتلوا لعازر أيضًا ✻ لأن كثيرين من اليهود كانوا بسببهِ يذهبون فيؤمنون بيسوع ✻ وفي الغدِ لمَّا سمع الجمع الكثير الذين جاءُوا إلى العيد بأنَّ يسوع آتٍ إلى أورشليم أخذوا سعَف النخل وخرجوا للقائه وهم يصرخون قائلين: هوشعنا، مباركٌ الآتي باسم الرَّبِّ، ملكُ اسرائيل ✻ وإنَّ يسوع وجد جحشًا فركبه كما هو مكتوب: ✻ لا تخافي يا ابنة صهيون، ها إن مَلِكِكِ يأتيكِ راكبًا على جحش ابن أتانٍ ✻ وهذه الأشياء لم يفهمها تلاميذهُ أوَّلًا، ولكن، لمَّا مُجِّد يسوع، حينئذ تذكَّروا أنَّ هذه إنمَّا كُتِبَت عنه، وأنهم عملوها لهُ ✻ وكان الجمع الذين كانوا معه حين نادى لعازر من القبر وأقامه من بين الأموات يشهدون لهُ ✻ ومن أجل هذا استقبله الجمع لأنهم سمعوا بأنَّه قد صنع هذه الآية.

■ المقدمة

اليوم احتفالٌ بهيٌّ مجيد، احتفال بدخول ربِّنا يسوع المسيح إلى أورشليم. في هذا العيد المجيد الإلهيّ لا تُشاهد أعمالًا مُصطنعة ولا مَظاهر رسميَّة تُمليها أوامر الحُكَّام، أعني كُلّ ما يصنعه القوَّاد الرُّومانيّون القُدماء عندما كانوا يعودون ظافرين ويدخلون عاصمة مملكتهم. هنا تُشاهد **بَسَاطَةً كُليَّةً**، تكريمًا تلقائيًّا، تَقْوَى، خصبًا روحانيًّا تتميمًا لنبُؤاتِ اللهِ. تُشاهد **يسوع جالسًا على جحشٍ** ابن أتانٍ لكي يُتَمِّم النبوءة عنه داخلًا إلى أورشليم. أمَّا جمهور الشَّعب، سُكان أورشليم والذين أتوا اليها من أجلِ الفصح، فعندما سمعوا بقدومه تناولوا في أيديهم سَعَفَ النخلِ، وخرجوا للقائهِ هاتفين عاليًا: «أُوصَنَّا! مُبَارَكٌ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ! مَلِكُ إِسْرَائِيلَ!» (يوحنا ١٢: ١٣).

ملحوظة: ﴿أوصَنَّا = في العبرانيَّة **«هو شعنا»** أي يا ربّ خَلِّص، وهي بمثابة تحيَّة وهُتاف (مز ١١٧: ٢٥)﴾.

عندئذ فَرَشَ آخرون ثِيابهم في الطريقِ «وَآخَرُونَ قَطَعُوا أَغْصَانًا مِنَ الشَّجَرِ وَفَرَشُوهَا فِي الطَّرِيقِ.» (متى ٢١: ٨) التي كان مزمعًا يسوع أن يمرَّ عليها. بعضهم كان يَسبقه والبعض الآخر يتبعه صارخًا: «أُوصَنَّا لابْنِ دَاوُدَ! مُبَارَكٌ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ! أُوصَنَّا فِي الأَعَالِي!» (متى ٢١: ٩).

آخرون كانوا يصرخون: «مُبَارَكَةٌ مَمْلَكَةُ أَبِينَا دَاوُدَ الآتِيَةُ بِاسْمِ الرَّبِّ! أُوصَنَّا فِي الأَعَالِي!» (مرقس ١١:١٠). وكما هتفَ نحوه تلاميذه لمَّا قَرُبَ من منحدر جبل الزيتون وَمَجَّدوه قائلين: «مُبَارَكٌ الْمَلِكُ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ! سَلاَمٌ فِي السَّمَاءِ وَمَجْدٌ فِي الأَعَالِي!» (لوقا ١٩:٣٨)، هكذا كان الأولاد العادمو الشرّ يصرخون لمَّا وصَلَ إلى أورشليم ودخل الهيكل: «أُوصَنَّا لابْنِ دَاوُدَ!» (متى ٢١:١٥). أثارت إقامة لِعازَر ودخول الرَّبُّ يسوع المسيح المجيد إلى أورشليم حَسَدَ رؤَساء الكهنة والفرِّيسيّين وشيوخ الشَّعب. وجاءَ من ثُمَّ وقتُ آلامهِ وصلبهِ وموتهِ عناصر خلاصنا. يُفَصِّل المقطع لإنجيلي الثاني كُلّ ذلك كما يَلي:

■ حادثة مَسح قَدَمي يسوع بالطِّيبِ قبل الفصح بستَّةِ أيام

● «قَبْلَ الْفِصْحِ بِسِتَّةِ أَيَّامٍ أَتَى يَسُوعُ إِلَى بَيْتِ عَنْيَا، حَيْثُ كَانَ لِعَازَرُ الْمَيْتُ الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ. فَصَنَعُوا لَهُ هُنَاكَ عَشَاءً. وَكَانَتْ مَرْثَا تَخْدِمُ، وَأَمَّا لِعَازَرُ فَكَانَ أَحَدَ الْمُتَّكِئِينَ مَعَهُ.» (يوحنا ١٢:١-٢).

بعد إقامة لِعازَر في بيت عنيا خرَجَ **الإله الإنسان** منها وجاءَ إلى بلدة تُدعَى «أَفْرَايِمَ» (يوحنا ١١:٥٤). وقبلَ الفصح بستَّةِ أيام أتَى من جديد إلى بيت عنيا حيثُ كان لعازر الذي أقامه من بين الأموات. هناكَ إذًا في بيت سمعان الأبرص، كما يَشهد الإنجيليَّان متى ومرقس (متى ٢٦:٦ و مرقس ١٤:٣)، هَيَّأُوا له عشاءً، وكانت مرثا تخدم كما فعلت سابقًا (لو ١٠:٤٠)، «وَأَمَّا لِعَازَرُ فَكَانَ أَحَدَ الْمُتَّكِئِينَ مَعَهُ.» (يو١٢:٢).

● «فَأَخَذَتْ مَرْيَمُ مَنًّا مِنْ طِيبِ نَارِدِينٍ خَالِصٍ كَثِيرِ الثَّمَنِ، وَدَهَنَتْ قَدَمَيْ يَسُوعَ، وَمَسَحَتْ قَدَمَيْهِ بِشَعْرِهَا، فَامْتَلأَ الْبَيْتُ مِنْ رَائِحَةِ الطِّيبِ.» (يوحنا ١٢:٣).

ملحوظة: (المنّ وحدة من الأوزان الرومانيّة الهيلينيّة وتساوي ٣٢٥غم).

منهم من يقول: إنَّ كلمة «خَالِصٍ» تعني موثوقًا به وحقيقيًّا Original، وآخرون إنَّه نوعٌ من الناردين المدعوّ هكذا، أمَّا مريم فهي دون شَكٍّ أختُ مرتا ولعازر الساكنين في بيت عنيا، ويُجمع المُفَسِّرون على هذا الرأي. السؤال هنا هل هي مريم نفسها التي ذكرها الإنجيليُّون الآخرون؟ يؤكِّد القدِّيس يوحنا الذهبي الفم أنها هي عند الإنجيليِّين الثلاثة.

والمُرَجَّح أنَّ الإنجيليِّين الثلاثة متى ومرقس ويوحنا يتكلَّمون عن المرأة نفسها أي عن مريم أُخت لعازر لأنهم يقولون: إنَّ الحدث وقع في بيت عنيا وقد تذَمَّرَ (أحد) التلاميذ من ذٰلك.

المرأة التي تكلَّم عنها الإنجيلي لوقا «كانت خاطئة» أي زانية «وَإِذَا امْرَأَةٌ فِي الْمَدِينَةِ كَانَتْ خَاطِئَةً» (لوقا ٧:٣٧)، أمَّا مريم فكانت عاقلة، تقيَّة، وقد مدحها الرَّبُّ يسوع: «فَاخْتَارَتْ مَرْيَمُ النَّصِيبَ الصَّالِحَ الَّذِي لَنْ يُنْزَعَ مِنْهَا» (لوقا ١٠:٤٢). المرأة عند لوقا قدَّمت الطِّيب في بلدة ناين « وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي ذَهَبَ إِلَى مَدِينَةٍ تُدْعَى نَايِينَ، وَذَهَبَ مَعَهُ كَثِيرُونَ مِنْ تَلاَمِيذِهِ وَجَمْعٌ كَثِيرٌ.» (لوقا ٧:١١)، أمَّا مريم ففي بيت عنيا. الأولى (الزانية) في بيت سمعان الفريسي، والثانية (مريم أُخت لعازر) في بيت سمعان الأبرص (لربما صديق عائلة لعازر). الأولى في وقت سابق بكثير لعيد الفصح، أمَّا الثانية فقبل ستَّة أيام من الفصح اليهودي حين صُلِبَ يسوع. تَعَثَّرَ سمعان الفريسي من تصرُّف المرأة ظانًّا أنَّ يسوع المسيح لم يَكُن يعرف أنها خاطئة، أمَّا التلاميذ فقد تذمَّروا من تصرُّف مريم واستاء خصوصًا يهوذا من اتلاف الطيب.

ملحوظة:(في إنجيل لوقا الإصحاح السابع، وبعد شفاء عبد قائد المئة بيوم، ذَهَبَ يسوع مع تلاميذه إلى مدينة ناين: «وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي ذَهَبَ إِلَى مَدِينَةٍ تُدْعَى نَايِينَ، وَذَهَبَ مَعَهُ كَثِيرُونَ مِنْ تَلاَمِيذِهِ وَجَمْعٌ كَثِيرٌ» (لوقا ٧:١١) بعد إقامة ابن أرملة ناين، وانتشار هذا الخبر في جميع الأرجاء، أرسل يوحنا المعمدان تلميذيه إلى يسوع ليسأله: «يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ قَدْ أَرْسَلَنَا إِلَيْكَ قَائِلاً: أَنْتَ هُوَ الآتِي أَمْ نَنْتَظِرُ آخَرَ؟»، بعدها دُعِيَ إلى بيت الفريسي، وهناك أتت المرأة الخاطئة تائبة طالبةً الصفح والغفران بصمتٍ رهيب ودموع سخيّة.)

إذًا مريم أُخت مرتا ولعازر، وهي نفسها عند متى ومرقس، هي التي دهنت قَدميْ يسوع المسيح بالطِّيبِ الناردين الخالص الجزيل الثمن. وقد كانت رائحته قويَّةً إلى حدٍّ أنَّهُ ملأَ بيت سمعان الأبرص كُلّه. تُرى مَنْ أَلْهَمَ وَحَثَّ مريم إلى مثلِ هذا العمل؟ كان استعمال الطِّيبِ في المجالس والمآدب مألوفًا ليس فقط عند الوثنيِّين بل أيضًا عند اليهود. **لكن هنا كانت مريم مُستنيرة من الله** إذ، كما يقول **يسوع الإله الإنسان**، «**انَّما حَفِظَتْهُ ليوم دفني**» (يوحنا ١٢:٧). مِنْ هنا إنَّ تصرُّف مريم قد خَرَجَ عن العادة المألوفة. يقول متى ومرقس إنها جلبت قارورة طيب مرمريَّة، أي مصنوعة من حجر مرمريّ ومملوءة بالطيب، وسَكَبتهُ على رأس يسوع المسيح. أمَّا مرقس فيُضيف انَّها كسرت القارورة. فتكون العمليَّة قد تمَّت على الشكل التالي:

كسرَت مريم رأسَ القارورة لكي يَخرج منها الطيب بسهولة كما يشهد مرقس (١٤:٣)، ثُمَّ أفاضته على رأسِهِ كما جاءَ عند متى ومرقس، وبعدها سكَبت ما بَقِيَ منه في القارورة «وَدَهَنَتْ قَدَمَيْ يَسُوعَ، وَمَسَحَتْ قَدَمَيْهِ بِشَعْرِهَا» (يوحنا ١٢:٣). كما يشهد الإنجيلي يوحنا على ذلك. وبعدها جاءت أقوال يهوذا.

● «فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْ تَلاَمِيذِهِ، وَهُوَ يَهُوذَا سِمْعَانُ الإِسْخَرْيُوطِيُّ، الْمُزْمِعُ أَنْ يُسَلِّمَهُ: «لِمَاذَا لَمْ يُبَعْ هذَا الطِّيبُ بِثَلاَثَمِئَةِ دِينَارٍ وَيُعْطَ لِلْفُقَرَاءِ؟» قَالَ هذَا لَيْسَ لأَنَّهُ كَانَ يُبَالِي بِالْفُقَرَاءِ، بَلْ لأَنَّهُ كَانَ سَارِقًا، وَكَانَ الصُّنْدُوقُ عِنْدَهُ، وَكَانَ يَحْمِلُ مَا يُلْقَى فِيهِ.» (يوحنا ١٢:٣).

يقول متى: «فَلَمَّا رَأَى تَلاَمِيذُهُ ذلِكَ اغْتَاظُوا قَائِلِينَ: «لِمَاذَا هذَا الإِتْلاَفُ؟ » (متى ٢٦:٨). أمَّا مرقس فقال: «وَكَانَ قَوْمٌ مُغْتَاظِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ،... وَكَانُوا يُؤَنِّبُونَهَا.» (مرقس ١٤:٤-٥). أمَّا يوحنا فيقول: إنَّ يهوذا تعثَّرَ من ذلك العمل. فكيف يمكننا أن نُوَفِّق بين هذه الأقوال؟ إنَّ كُلّ ما ذُكِرَ من قِبَل الإنجيليِّين الثلاثة هو صحيح وحصَلَ فعلًا. لقد سمع التلاميذ من قَبْلُ على لسانِ الرَّبِّ يسوع المسيح أنَّ الرَّحمة أفضَل من الذبيحة « إِنِّي أُرِيدُ رَحْمَةً لاَ ذَبِيحَةً» (متى ٩:١٣). فتذَمَّروا على مريم ظانِّينَ انها قد صنعت صنيعًا لا يُرضي المسيح. كما أنَّ بعضًا من الحاضرين اغتاظ واضطربَ فقالوا: «لِمَاذَا كَانَ تَلَفُ الطِّيبِ هذَا؟ لأَنَّهُ كَانَ يُمْكِنُ أَنْ يُبَاعَ هذَا بِأَكْثَرَ مِنْ ثَلاَثَمِئَةِ دِينَارٍ وَيُعْطَى لِلْفُقَرَاءِ»

(مر ١٤:٤-٥). أمَّا يهوذا فقد اغتاظَ واضطرب لا لأنَّهُ كانَ يهتم بالفقراء، بل لأنَّهُ كان سارقًا وكانَ يَوَدُّ أن يضع الدنانير الـ ٣٠٠ المعادلة لـ ١٥ قطعةٍ ذهبيَّةٍ تقريبًا في الصندوق الذي كان يحمله كَمُدَبِّرٍ ومسؤول عن تأمين حاجات التلاميذ، وبعدها يسرق كُلّ ما كان فيه كعادته. **اسمعوا جوابَ الرَّبِّ يسوع المسيح له:**

● «فَقَالَ يَسُوعُ: «دَعْهَا! إِنَّهَا لِيَوْمِ تَكْفِينِي قَدْ حَفِظَتْهُ، لأَنَّ الْفُقَرَاءَ مَعَكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ، وَأَمَّا أَنَا فَلَسْتُ مَعَكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ». (يوحنا ١٢:٧-٨).

«دَعْهَا!» يتوَجَّه هنا المسيح، حسب رواية يوحنا، إلى يهوذا وحده دون سائر التلاميذ المذكورين عن متى ومرقس. من هنا أنَّ جوابه للتلاميذ عند مرقس يفسِّر هذا الكلام المختصر المُوَجَّه إلى يهوذا: «اتْرُكُوهَا! لِمَاذَا تُزْعِجُونَهَا؟ قَدْ عَمِلَتْ بِي عَمَلًا حَسَنًا! لأَنَّ الْفُقَرَاءَ مَعَكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ، وَمَتَى أَرَدْتُمْ تَقْدِرُونَ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِمْ خَيْرًا. وَأَمَّا أَنَا فَلَسْتُ مَعَكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ. عَمِلَتْ مَا عِنْدَهَا. قَدْ سَبَقَتْ وَدَهَنَتْ بِالطِّيبِ جَسَدِي لِلتَّكْفِينِ.» (مرقس ١٤:٦-٨).

يقول: لماذا تُزعجون المرأة؟ لقد صنعت معي صنيعًا حسنًا وَمُقَدَّسًا. أنتم تقولون أنَّهُ كان يُمكن أن يُعطى ثمن الطيب أي ٣٠٠ دينار ألى الفقراء، لكن هؤلاء دائمًا أمام أعينكم ويمكنكم أن تُحسِنوا إليهم متى تشاؤون. «أَمَّا أَنَا فَلَسْتُ مَعَكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ»، لأنِّي سوف أموت بعد أيامٍ قليلة. إنَّ هذه **المرأة المستنيرة** قد عَلِمَت مُسبَقًا بموتي وعَمِلَت معي ما كان بإمكانها أنْ تعمله. لقد عَلِمَت بِموتي ودهنت جسدي مُسبقًا وَهَيَّئَتْهُ للدَّفن، «فَإِنَّهَا إِذْ سَكَبَتْ هذَا الطِّيبَ عَلَى جَسَدِي إِنَّمَا فَعَلَتْ ذلِكَ لأَجْلِ تَكْفِينِي.» (متى ٢٦:١٢).

هكذا بَرَّرَ يسوع **المسيح الإله** صَنيع مريم وأَظهَرَ فضيلتها ونعمة الله التي كانت معها، كما بيَّنَ الأَجر الذي سوف تحصل عليه من جرَّاءِ عملها. «اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: حَيْثُمَا يُكْرَزْ بِهذَا الإِنْجِيلِ فِي كُلِّ الْعَالَمِ، يُخْبَرْ أَيْضًا بِمَا فَعَلَتْهُ هذِهِ، تَذْكَارًا لَهَا».» (مرقس ١٤:٩). ونحنُ نشهد حتى اليوم تحقيق نبوءة المخلِّص، لأنَّه حيثُ يُكْرَزُ بالإنجيل يُذكَر اسم مريم وحادثتها. بعد هذا لكلام ينتقل الإنجيليّ يوحنا إلى موضعٍ آخر.

■ الدخول إلى أورشليم

«فَعَلِمَ جَمْعٌ كَثِيرٌ مِنَ الْيَهُودِ أَنَّهُ هُنَاكَ، فَجَاءُوا لَيْسَ لأَجْلِ يَسُوعَ فَقَطْ، بَلْ لِيَنْظُرُوا أَيْضًا لِعَازَرَ الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ. فَتَشَاوَرَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ لِيَقْتُلُوا لِعَازَرَ أَيْضًا، لأَنَّ كَثِيرِينَ مِنَ الْيَهُودِ كَانُوا بِسَبَبِهِ يَذْهَبُونَ وَيُؤْمِنُونَ بِيَسُوعَ.» (يو ١٢:٩-١١).

لقد عَلِمَ جَمْعُ اليهود أنَّ يسوعَ كان هناك، أيْ في بيت عنيا، فجاؤوا لا من أجل يسوع أي ليسَ ليسمعوا تعليمه « بَلْ لِيَنْظُرُوا أَيْضًا لِعَازَرَ الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ.». أمَّا رؤساء الكهنة فكانوا يُشاهدون العدد الكبير من اليهود يأتون اليه، ويؤمنون به بسبب لعازر الذي أخذَ يجذبهم إلى الإيمانِ بالمسيح، فَتَشاوَروا على أنْ يَقتلوا لعازر أيضًا. يا لَجَهالتهم! أَلَا تَعلمون أنَّ الذي أقامَ لِعازَر الميِّت يستطيع أنْ يُقيم أيضًا، لو شاء لعازر المقتول؟ بعد هذا الكلام يمضي يوحنا الإنجيلي في التكلُّم عمَّا جرى في اليوم التالي.

● « وَفِي الْغَدِ سَمِعَ الْجَمْعُ الْكَثِيرُ الَّذِي جَاءَ إِلَى الْعِيدِ أَنَّ يَسُوعَ آتٍ إِلَى أُورُشَلِيمَ، فَأَخَذُوا سُعُوفَ النَّخْلِ وَخَرَجُوا لِلِقَائِهِ، وَكَانُوا يَصْرُخُونَ: أُوصَنَّا! مُبَارَكٌ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ! مَلِكُ إِسْرَائِيلَ!». (يوحنا ١٢: ١٢-١٣).

حَسَب مقتَضَى الناموس لا يُقام الفصح الناموسي إلَّا في مدينة أورشليم «لاَ يَجُوزُ لَكَ أَنْ تَذْبَحَ الْفِصْحَ فِي أَحَدِ أَبْوَابِكَ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ، بَلْ فِي الْمَكَانِ الَّذِي يَخْتَارُهُ الرَّبُّ إِلهُكَ لِيُحِلَّ اسْمَهُ فِيهِ. هُنَاكَ تَذْبَحُ الْفِصْحَ» (تثنية ١٦:٥-٦). لذلك يأتي كُلّ سنة جمعٌ كثيرٌ إلى أورشليمَ لِيُعيِّدوا الفصحَ. بعد ان انتشر خبر الآية البَّاهرة التي صنعها يسوع بإقامة لعازر من الأموات، وَسَمِعَ الجمعُ الكثيرُ بأنَّهُ آتٍ إلى أورشَليمَ، أخذوا بأيديهم «سُعُوفَ النَّخْلِ » وخرجوا من المدينة للقائِهِ، وكانوا يصرخون: «أُوصَنَّا! مُبَارَكٌ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ!».

هكذا فعلوا، وكان اليهود يقولون إنَّ يسوع المسيح هو المَسِيَّا المُنتَظَر الذي يأتي إلى أورشليم لكي يجلس على عرشِ داود ويملك على شعبِ إسرائيل. كانت أعمالهم وأقوالهم بإيحاءٍ منَ الرُّوحِ الإلهي، وهي تختصُّ **بيسوع المسيح الإله الإنسان**. **إنَّ سَعَفَ النخيلَ رمزٌ يُشيرُ إلى أنَّ المسيحَ هو غالب الشيطان والموت.** أمَّا كلمة «أوصَنَّا» العبرانيَّة فتعني: «يا ربُّ خَلِّص». كما جاءَ في نبوءَة داود حول مجيء المسيح: «يَا رَبُّ خَلِّصْ! ... مُبَارَكٌ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ.» (مزمور ١١٧:٢٥-٢٦).

● « وَوَجَدَ يَسُوعُ جَحْشًا فَجَلَسَ عَلَيْهِ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ:لاَ تَخَافِي يَا ابْنَةَ صِهْيَوْنَ. هُوَذَا مَلِكُكِ يَأْتِي جَالِسًا عَلَى جَحْشِ أَتَانٍ.». (يوحنا ١٢: ١٤-١٥).

لقد أرسَلَ يسوع المسيح اثنين من تلاميذهِ لكي يأتيا بجحشِ أتان (متى ٢١:١-٢). وعندما أتياهُ به ألقيَا عليه ثيابهما وأَصعدَا يسوع عليه. لقد سكتَ يوحنا عن هذه التفاصيل الواردة عند الإنجيليِّين الثلاثة، فاكتفَى بالقولِ: «وَوَجَدَ يَسُوعُ جَحْشًا فَجَلَسَ عَلَيْهِ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ:» (يو١٢:١٤)، أي كما في نبوءة زخريَّا. وقد نقلَ يوحنا وكذلك متى المعنى الوارد في النبوءة دونَ أنْ يوردا الكلمات كلّها، لأنَّ النبيّ زخريا قال عن دخول المسيح إلى أورشليم: «اِبْتَهِجِي جِدًّا يَا ابْنَةَ صِهْيَوْنَ، اهْتِفِي يَا بِنْتَ أُورُشَلِيمَ. هُوَذَا مَلِكُكِ يَأْتِي إِلَيْكِ. هُوَ عَادِلٌ وَمَنْصُورٌ وَدِيعٌ، وَرَاكِبٌ عَلَى حِمَارٍ وَعَلَى جَحْشٍ ابْنِ أَتَانٍ.» (زخريا ٩:٩). يقول يوحنا: «لاَ تَخَافِي يَا ابْنَةَ صِهْيَوْنَ»، لأنَّهُ عندما كان يتقدَّم ملكٌ جديد ليعتلي العرش كان الشعبُ يخاف من قساوته المرتقبة على مثال بعض الملوك السابقين له.

ماذا يقصد بجحش أتان الذي تنبَّأ عنه زخريا بصورة واضحة وجلسَ عليه يسوع الإله الإنسان مُتِمًّا النبوءة؟ الجحش عادةً فظّ، غليظ وصعب الانقياد. يُعتبر عند اليهود دَنِسًا، فلَا يُقبَل حسب الناموس كذبيحة مُقَدَّمة إلى اللهِ، بل يُستبدَل بخروف. (خروج ١٣:١٣).

كانت أُمم الأرض مُعتبَرَة دَنِسَةً غيرَ طاهرة بسبب عدم إيمانها، ووحشيَّة وصعبةِ الانقياد بسبب افتقارها إلى نواميس الله. إنَّ جلوس يسوع المسيح على جحشٍ أتان يعني خضوع الأمم له.

ملحوظة: (لقد ورد عند مرقس أنَّ الجحش «لم يجلس عليه أحدٌ من الناس» (مرقس ١١:٢) ممَّا يعني أنَّ الأمم لم تكُن بعد قد بُشِّرَت بالإنجيل).

لاحظوا كَيف أتى الرسُل بجَحشٍ أتان وأَبْقَوا ثيابهم عليه وأصعَدُوا مخلِّص العالم عليه. يقول لوقا: «وَأَتَيَا بِهِ إِلَى يَسُوعَ، وَطَرَحَا ثِيَابَهُمَا عَلَى الْجَحْشِ، وَأَرْكَبَا يَسُوعَ.» (لوقا ١٩:٣٥). هذه كلّها رموز تُشير إلى أنَّ الرُسل القديسين بسطوا البشارة الإنجيليَّة على الأمم وأتوا بها خاضعة للمسيحِ السَّيِّد فملأها هو من مواهبه الإلهيَّة.

● «وَهذِهِ الأُمُورُ لَمْ يَفْهَمْهَا تَلاَمِيذُهُ أَوَّلًا، وَلكِنْ لَمَّا تَمَجَّدَ يَسُوعُ، حِينَئِذٍ تَذَكَّرُوا أَنَّ هذِهِ كَانَتْ مَكْتُوبَةً عَنْهُ، وَأَنَّهُمْ صَنَعُوا هذِهِ لَهُ.». (يوحنا ١٢: ١٦).

أَيَّة أُمور لم يفهمها التلاميذ أوَّلًا؟ إنَّها نبوءَة زخريا وكُلّ ما كتبه النبيّ عن يسوع المسيح. ولكن لمَّا «تَمَجَّدَ» أي بعد آلامه وموته ودفنه وقيامته من الأموات «حِينَئِذٍ فَتَحَ ذِهْنَهُمْ لِيَفْهَمُوا الْكُتُبَ.» (لوقا ٢٤:٤٥). وبعد صعوده إلى السموات أرسَلَ عليهم الرُّوح القدُس وجعلهم بنعمته **كُلِّيِّي** الحكمة، ففهموا وأدركوا ليسَ فقط نبوءَة زخريا، بل كُلّ النبوءَات الأُخرى.

● «وَكَانَ الْجَمْعُ الَّذِي مَعَهُ يَشْهَدُ أَنَّهُ دَعَا لِعَازَرَ مِنَ الْقَبْرِ وَأَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ. لِهذَا أَيْضًا لاَقَاهُ الْجَمْعُ، لأَنَّهُمْ سَمِعُوا أَنَّهُ كَانَ قَدْ صَنَعَ هذِهِ الآيَةَ.». (يوحنا ١٢:١٧-١٨).

الشَّعب الذي كان معه في بيت عنيا وتَبِعَهُ إلى أورشليم رأى قيامة لعازر وأَخبَرَ عنها. فشهِدَ في أورشليم بأنَّ يسوع المسيسح صرخَ حقًّا نحو لعازر الذي في القبر: «لِعَازَرُ، هَلُمَّ خَارِجًا!» (يوحنا١١:٤٣)، وأقامة من الأموات. وقبلَ هذه الشَّهادة كان قد سُمِعَ في أورشليم بهذه الآية التي صنعها يسوع، ولذلك يقول يوحنا: «فَأَخَذُوا سُعُوفَ النَّخْلِ وَخَرَجُوا لِلِقَائِهِ،» (يوحنا ١٢:١٣).

ما هو الحقد؟ إنَّ الفضائلَ الجليلةَ تشبه سُلَّم يعقوب أمَّا الرذائل الذميمة تشبه السِّلسلة التي وقعت من يدي بطرس الرسول. لأنَّ الفضائل تقود من يختارها ويتبعها الواحدة تلو الاخرى وتصعد به إلى السماء، أمَّا الرذائل فَتَلِدُ الواحدة الاخرى وتتصل كلها معًا مثل السِّلسلة.

الحقد ثمرةُ الغضب، وادِّخارٌ للخطايا ومقتٌ للبرِّ واضمحلال للفضائل وسُمٌّ للنفسِ، ودودةٌ للعقلِ وخزيٌ للصلاةِ وقطعٌ للتضرُّعِ واغترابٌ عن المحبة ومسمارٌ يخترق النَّفسَ ومرارةٌ محبوبة وخطيئةٌ مستمرة ومعصيةٌ لا تنام وشرٌّ قائمٌ في كل ساعة.

ما هو الحلّ؟؟ الشَّخص المحب يُلْقِي عنه الحقد وأمَّا من يُراعي العداء فيجمع لنفسه الكثير من المشاكل المُتعبة. وَلِيمَةُ محبَّةٍ تلاشي البُغضَ، والهدايا الخالصة تُرضي النَّفس. ولكن الوليمة الخالية **من الاحتراس** تُنتج الفُجُور، وتُدْخِل الشَّراهة بِحُجَّةِ المحبَّة.

شاهدتُ مرَّةً علاقة زنى تنقطع بسبب الكراهيَّة، وبسببِ الحقدِ لم يعودا يتصالحان مرَّة أخرى. أليس هذا أمرًا عجيبًا؟؟ شيطان يشفي شيطانًا! ولعل هذا كان فعل العناية الالهيَّة وليس **فعل الشياطين**.

الحِقْدُ بَعيدٌ عن المحبَّة الطبيعيَّة الثابتة، ولكن الزِّنى يلاصق هذه المحبة بسهولة، كما يلاصق في الحمامة قَمْلٌ خَفِيٌّ.

إنْ حقدتَ فاحْتَدَّ على **الشياطين** وإنْ عادَيْتَ فَعَادِ جسدك كُلَّ حين، فإنَّ الجسد صديقٌ غاشٌّ عنيدٌ، بقدر ما تُراعيه يُؤذيكَ.

الحِقْدُ كالمعلِّم الذي يشرح الكتاب المقدس باستياق كَلِمَات الرُّوح إلى وجهةِ نظرِهِ. فلتُحْرِزِه بصلاة يسوع : «واترك لنا ما علينا، كما نترك نحنُ لمن لنا عليه» التي لا نستطيع أنْ نُصلِّيها ونحن حاقدون.

متى جاهدتَ كثيرًا وما تمكَّنت من نزع هذه الشَّوكة **(أي الحِقْدُ)** كليًّا، تُبْ إلى خصمِكَ ولو بفمِكَ فقط؛ حتى إذا خجلتَ من مراءاتِكَ له طويلًا، ووجعَكَ ضميرُكَ مثل النَّار، أحببتَهُ حبًّا كاملًا.

إعرف انَّكَ قد تخلَّصت من **عفن الحقد**، لا إذا صلَّيتَ من أجل من كدَّرَكَ، أو بادلتَهُ الهدايا أو دعوتَهُ إلى مائدتِكَ، بل إذا سمعتَ أنَّهُ قد مُنِيَ ببليَّةٍ، جسديَّة كانت أمْ روحانيَّة، فتوجَّعت له كما تتوجَّع لنفسِكَ وبكيتَ على ما اصابَهُ.

متوحد حقود أفعى فى وكره، حاملٌ سُمًّا مميتًا في ذاتِهِ.

إنَّ ذكر آلام يسوع يشفي النفس الحاقِدَة، وذلك لشِدَّةِ خجلها من طول اناته.

كما يتولَّد الدود في الخشبة الميِّتة الفاسِدَة، هكذا تَلْتَصِقُ الضَّغينة بمن يظهرون كأنَّهم الوُدعاء الصَّامتون، فمن طرح الضَّغينة وجد الغُفران، ولكن من تمسَّك بها لا يُرحم.

لقد كابد البعض أتعابًا وأعراقًا لينالوا مغفرة الخطايا، لكن العديمي الحِقْدِ سَبقوهم إليها، ما دام هذا القول صادقًا: «اغْفِرُوا يُغْفَرْ لَكُمْ.» (لوقا ٦:٣٧).

عَدَمُ الحقْدِ دلالةٌ على التَّوبةِ الصَّادقَةِ، أمَّا من يحفظ العداوة ويظن أنَّهُ تائبٌ فهو شبيه بمن يظن أنَّهُ يجري وهو نائمٌ.

رأيت حقودين عندما نصحوا آخرين بالتسامح، خجلوا من أقوالهم وكفُّوا عن حِقْدِهِم.

لا يَتَوَهَّمَنَّ أحدٌ أنَّ هذا الهوى المظلم هَيِّنٌ ضعيفٌ، فانَّهُ كثيرًا ما يُصيب حتى الناس الرُّوحانيِّين.

هذه درجة تاسعة من أدركها، فليطلُب بدالَةٍ من الرَّبِّ المُخَلِّص حلًّا لسائرِ زَلَّاتِهِ.

« قَامَ عَنِ الْعَشَاءِ، وَخَلَعَ ثِيَابَهُ، وَأَخَذَ مِنْشَفَةً وَاتَّزَرَ بِهَا» (يو١٣ : ٤).

لاحظ كيف أظهر الاتضاع ليس فقط بواسطة حقيقة غسله لأقدامِهِم، بل في نواحي أخرى أيضًا. إذْ أَنَّهُ قام ليس قبل الاتكاء للأكلِ بل بعد أنْ جلس الجميع على المائدة. وأيضًا لم يقُمْ بمجرَّد الغَسْلِ بل فعل ذلك بعد أن خلع ثيابه وأتزر بمنشفة. علاوة على ذلك، لم يكتف بذلك بل هو بنفسه مَلأَ الإناءَ (**الطُّشت**). لم يطلب من شخصٍ آخرَ مَلْئِهِ، بل فعل كُلّ هذه الأمور بنفسهِ، لكي يعلمنا أنَّهُ يجب علينا عندما نفعل الخير ألَّا نفعله بروح الروتين بل بغيرة حماسيَّة.

يبدو لي أَنَّهُ غَسَلَ **قدمي الخائن** أوَّلًا، لأن الإنجيلي قال: «وَابْتَدَأَ يَغْسِلُ أَرْجُلَ التَّلاَمِيذِ» (يو١٣:٣)، ثم أضاف: «فَجَاءَ إِلَى سِمْعَانَ بُطْرُسَ. فَقَالَ لَهُ ذَاكَ: «يَا سَيِّدُ، أَنْتَ تَغْسِلُ رِجْلَيَّ!» (يو١٣:٦). يقصد: **«أتغسل أنت قدميّ بتلك الأيدي التي بها فتحت أعين العميان، بتلك الأيدي التي بها طهَّرت البُرص، بتلك الأيدي التي بها أقمت الموتى؟!»**. حقًّا كان كلام بطرس مُشدَّدًا جدًّا، لذا لم يَحْتَج أن يقول أكثر من كلمة **«أنت»**، لأنَّها كانت كافية لتحمل كُلّ هذا المعنى.

قد يتساءل شخصٌ قائلاً: « لماذا لم يمنع أحدٌ من التلاميذ الآخرين المسيح، لكن بطرس فقط، مع أَنَّهُ كان تصرُّف يدل على المحبَّة والاحترام للسَّيِّد المسيح؟ ما السبب في ذلك؟».

يبدو لي أَنَّهُ غسل **قدمي الخائن** أولًا، ثم جاء بعد ذلك إلى بطرس، ثُمَّ تَمَّ توجيه بقيَّة التلاميذ بِمثالِ بطرسَ. مِنَ الواضحِ إذن من قول يوحنا: «فَجَاءَ إِلَى سِمْعَانَ بُطْرُسَ.»، أَنَّهُ غسل قدمَيْ شخصٍ آخر قبله. على أَيَّةِ حال، لم يُصرِّح الأنجيلي ذلك بوضوح، إلَّا أَنَّ كلمة «ابْتَدَأَ» تشير لذلك. ومع كون بطرس هو الأوَّل في المرتبة، إلَّا أَنَّهُ من المحتمل أنَّ **الخائن** كان أمامه، وأخذ مكانه قبل القائد على المائدة.

أقول هذا لأنَّ تَقَدُّمَهُ للأمامِ قد ظهر أيضًا في وقتٍ لاحقٍ على المائدة، عندما غمس اللقمة مع السيد الرب في الصحفة، وعندما وُبِّخَ لم **يشعر بالندم**. في هذا الوقت، بطرس على العكس لكونه وُبِّخَ مرَّة في بداية العشاء - بالرغم من أنه كان يتكلم بدافع الحبِّ - إتَّضَعَ جدًّا لدرجَةٍ أَنَّهُ في خوفٍ ورعدةٍ إحتاج آخر ليسأل عنه السؤال: «يَا سَيِّدُ، مَنْ هُوَ؟» (يو١٣:٢٥)، أمَّا **يهوذا** فاستمرَّ في وقاحَتِهِ حتى بعد تحذيره مرارًا وتكرارًا.

عندما جاء المسيح لبطرس، قال له بطرس: «يَا سَيِّدُ، أَنْتَ تَغْسِلُ رِجْلَيَّ؟!»

أجابَهُ الرَّبُّ: «لَسْتَ تَعْلَمُ أَنْتَ الآنَ مَا أَنَا أَصْنَعُ، وَلكِنَّكَ سَتَفْهَمُ فِيمَا بَعْدُ» (يو١٣:٧). أي يقصد: **«أنك ستعرف فيما بعد عظمة الربح الذي ستحصل عليه من هذا التصرف، وكم هو مفيد للتوجيه والإرشاد، وكيف من الممكن أن يقودنا لإنكار الذات بالكامل»**. ماذا أجاب بطرس؟ لقد عارض الرَّبُّ قائلًا: «لَنْ تَغْسِلَ رِجْلَيَّ أَبَدًا!» (يو ١٣:٨).

ماذا تفعل يا بطرس؟ أَلَا تتذَكَّر ما قلته قبل ذلك؟ ألم تَقُل :«حَاشَاكَ يَا رَبُّ! لاَ يَكُونُ لَكَ هذَا!؟» (مت١٦:٢٢). وأَلَمْ تسمع الانتهار: «اذْهَبْ عَنِّي يَا شَيْطَانُ!» (مت١٦:٢٣). أَلَمْ تَصِرْ بعد حكيمًا؟ أَمَا زِلْتَ مُنْدَفِعًا؟

يجيب بطرسَ: **«نعم ، لأن ما فعله الرَّبُّ أخذني بالكاملِ على حين غرَّةٍ»**.

ولأنَّ بطرسَ كان يتصرف من حبِّه الشَّديد للرَّبِّ، تغلَّب المسيح عليه أيضًا مرَّةً أُخرى بالوسيلة نفسها. لذلك كما فعل في المناسبة الأخرى ووبخه بِحِدَّةٍ قائلًا: «أَنْتَ مَعْثَرَةٌ لِي» (مت١٦:٢٣). تصرَّفَ الرَّبُّ نفس الطريقة وقال له: «إِنْ كُنْتُ لاَ أَغْسِلُكَ فَلَيْسَ لَكَ مَعِي نَصِيبٌ». (يو١٣:٨)، وماذا أجابه تلميذه المُتحمِّس والغَيُور؟

«يَا سَيِّدُ، لَيْسَ رِجْلَيَّ فَقَطْ بَلْ أَيْضًا يَدَيَّ وَرَأْسِي» (يو١٣:٩).

لقد كان بطرس عنيفًا في رفضِهِ، وكان مُندفعًا بدرجةٍ أكبر في خضوعِهِ وموافقَتِهِ، وفي كِلَا الحالتين تصرَّف بدافع الحبِّ. لماذا حقًّا لم يوضح السَّيِّد المسيح الغرض الذي من أجله فعل ذلك، لكنه أجاب بتهديدٍ؟ لأنَّ بطرسَ ما كان سيطيعُهُ. لأنَّهُ لو كان الرَّبُّ قد قال: **«إسمح لي أن أغسل قدميك لأنَّهُ بهذه الوسيلة سوف أحثُّك على ممارسة الاتضاع»**، لكان بطرس قد تعهد عشرة آلاف مرة بممارسة

الاتضاع، حتى يمكنه أنْ يقنعَ الرَّبَّ بالإحجامِ عن فعل ذلك.

وماذا قال السَّيِّدُ الرَّبّ؟ لقد قال شيئًا جعل بطرسَ يخاف ويرتعد، قال أنَّهُ سوف ينفصل عنه. إذْ أنَّ بطرسَ هو الذي سأل الرَّبَّ بشكلٍ متكرِّر: «يَا سَيِّدُ، إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ؟» (يو١٣:٣٦). ولهذا السَّبب أعلن أيضًا: «إِنِّي أَضَعُ نَفْسِي عَنْكَ!» (يو١٣:٣٧).

لأنَّهُ إذا كان بطرسُ عند سماعِهِ: «لَسْتَ تَعْلَمُ أَنْتَ الآنَ مَا أَنَا أَصْنَعُ، وَلكِنَّكَ سَتَفْهَمُ فِيمَا بَعْدُ» (يو١٣:٧). لم يرضخ، فكم يكون الأمر أصعب إذا عَلِمَ بقصدِ الرَّبِّ. لذلك قال المسيح: «سَتَفْهَمُ فِيمَا بَعْدُ»، لأنَّهُ أدركَ أنَّ بطرسَ لو عَلِمَ بالقَصْدِ في الوقتِ الحاضر لقاوَمَ الأمرَ. وبطرس أيضًا لم يَقُلْ للرَّبِّ: **«أرشدني حتى أستوعب ما أنت فاعله»**، بل على العكسِ قالَ شيئًا أكثر حِدَّة، ولم يمنح نفسه الفرصة للتعلم، بل أبدى مقاومة مرَّةً ثانيةً بقوله: «لَنْ تَغْسِلَ رِجْلَيَّ أَبَدًا!». لكن عندما هُدِّدَ، لَطَّفَ حالًا مِنْ نَبْرَتِهِ.

والآن ما معنى عبارة :«سَتَفْهَمُ فِيمَا بَعْدُ»، «فِيمَا بَعْدُ» **متى؟** لقد قَصَدَ: **«عندما ستطرد الشياطين باسمي، عندما تراني صاعدًا إلى السموات، عندما تتعلم من الرُّوح القُدُس أنَّني جالس عن يمين الآب، حينئذ سوف تفهم ما يحدث»**.

بماذا أجاب السَّيِّدُ المسيح؟ عندما صرَّح بطرس: «يَا سَيِّدُ، لَيْسَ رِجْلَيَّ فَقَطْ بَلْ أَيْضًا يَدَيَّ وَرَأْسِي» (يو١٣:٩).

قال الرَّبُّ: «الَّذِي قَدِ اغْتَسَلَ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ إِلاَّ إِلَى غَسْلِ رِجْلَيْهِ، بَلْ هُوَ طَاهِرٌ كُلُّهُ. وَأَنْتُمْ طَاهِرُونَ وَلكِنْ لَيْسَ كُلُّكُمْ، أَنَّهُ عَرَفَ مُسَلِّمَهُ» (يو١٣:١٠-١١).

إذا كانوا طاهرين فلماذا يغسل أرجلهم؟

لقد فعل ذلك لكي نتعلم السلوك بالاتضاع. لهذا السبب لم يغسل أي عضو آخر من الجسم بل فقط العضو الذي يبدو أقل كرامة من الأعضاء الأخرى. ■

القديس پورفيريوس الرَّائي وفرح القيامة.

ذات مرَّة سأل الشيخ پورفيريوس أحد الزائرين:

– هل تعرف ترتيلة «إنَّنا مُعَيِّدُون لإماتة الموت»؟

– طبعًا أعرفها يا أبي الشيخ.

– أَسْمِعْنِي إيَّاها إذن.

– « إنَّنَا معيّدون لإماتة الموت ولهدم الجحيم، ولباكورة عيشة أخرى أبديّة، وبارتكاضنا نُسبحّ من هو عِلَّة هذه الخيرات أعني به إلٰه آبائنا المُبارك والمُمجَّد وحده».

– هل تفهم معناها؟

– بالتأكيد أفهم معناها.

ظننتُ أنَّه يطلب مني ترجمتها إلى اليونانيَّة الحديثة.

فلوَّح الشيخ بيده ناكرًا وقال:

– يا جُرجِي، أنت لا تفهم شيئًا على الإطلاق! قلتَها بسرعة، كالمرتِّل المستعجل. اسمع إلى ما يُقال من أمورٍ رائعةٍ في هذه الترتيلة: من خلال المسيح وقيامته، نحن لا نعبر نهرًا، ولا مضيقًا، ولا قناةَ، ولا بحيرة ولا حتى البحر الأحمر. لقد عبرنا الهاوية التي لا يمكن لأيِّ إنسانٍ عبورها بمفرده. عصور بكاملها مرّت وعبرت فيما العالم ينتظر هذا الفصح، هذا العبور. انتقل المسيح من الموتِ إلى الحياة! ولهذا السبب «إنَّنا معيّدون لإماتة الموت ولهدم الجحيم، ولنا جمة عيشة أخرى أبديّة »، هي الحياة معه.

قال الراهب الشيخ هذا الكلام بحماسة ويقين، وتحرّكت جوارحه. توقف قليلًا ثمّ تابع بعنفوان أشدّ:

– لا فوضى بعد الآن، ولا موت، ولا قتل، ولا جحيم. الآن كل شيء هو فرح، بفضل قيامة المسيح. الطبيعة البشريَّة انبعثت معه. الآن يمكننا أيضًا أن نقوم معه مرَّةً أخرى حتى نعيش معه إلى الأبد ... يا لنعيم القيامة! « وبارتكاضنا نسبحّ من هو علّة هذه الخيرات».

هل رأيت الجداء الصغيرة كيف تقفز الآن في زمن الربيع وتلعب على العشبِ الأخضر؟ ترضع بعض الحليب من أُمّهاتِها ثم تسرح وتمرح بفرح. وكذلك نحن نحتفل بفرح قيامة ربِّنا الذي لا يوصف.

ثم توقف الشيخ عن الكلام وقد عمَّ الفرح الأجواء. وتابع الشيخ قائلًا:

– هل لي أن أسديكَ نصيحة؟ كلّ ما واجهتَ أيّ حزن أو فشل أو ما يُسبّب لك الألم، اختلِ بنفسك نصف دقيقة وَقُلّ هذه الترنيمة ببطء. حينئذٍ، سترى أنَّ أهمّ ما في حياتك وفي حياة الكون بأكمله قد تَمَّ فعلًا بقيامة المسيح، أَلَا وهو خلاصنا. ثُمَّ تُدرك أنّ كُلّ ما يحلّ بنا من انتكاسات هو تافهٌ لا قيمة له، ولا داعي لتسمح له بإفساد مزاجك.

القديس پورفيريوس الرَّائي، مجروح بالمحبّة.

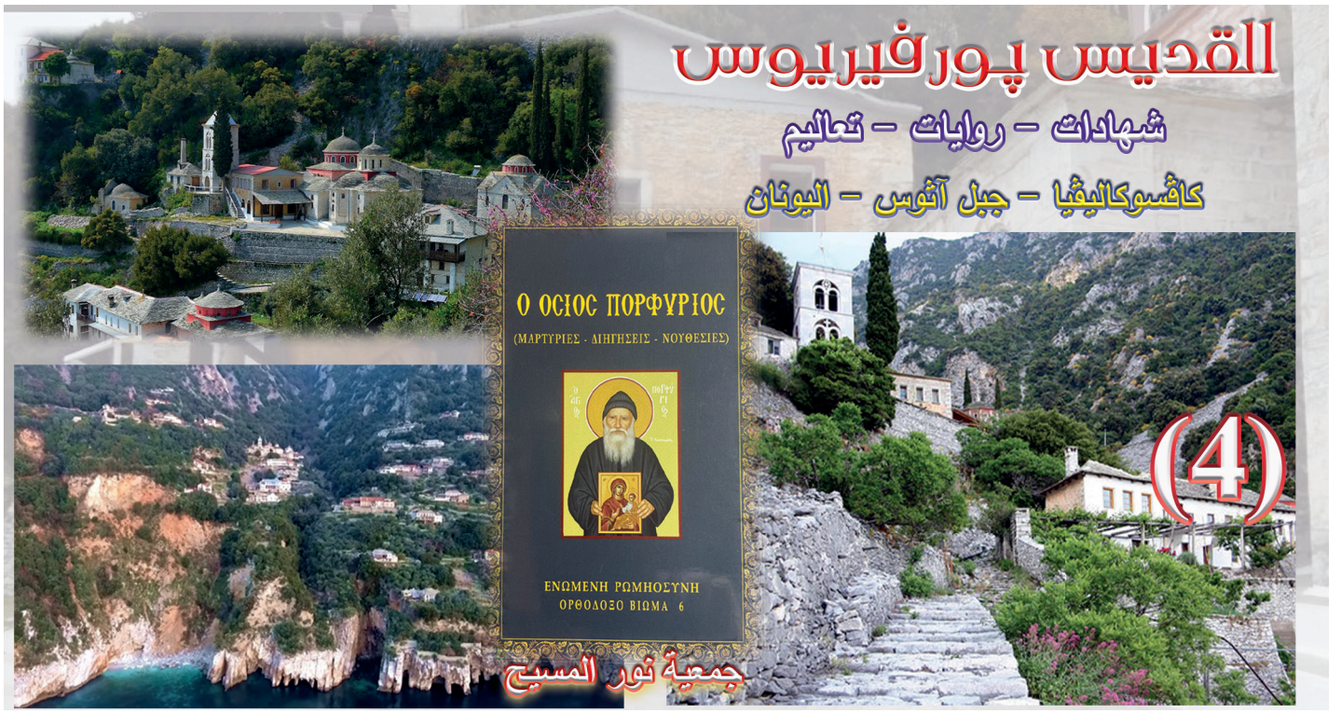

الجزء الأول: شهادات عن القديس

خبرات روحية مع القديس بورفيريوس وعجائب له

شهادات المتوحِّدة ستيليانى، رئيسة دير الضابط الكلّ (باندوكراتور):

تتمة من العدد السابق:

كان عيد القديس ستيليانوس الواقع في ٢٦ تشرين الثاني شرقي، الواقع في ٩ كانون أوّل غربي، اتَّصَل بنا غبطة البطريك الأورشليمي كيريوس كيريوس ذيوذورس الأوّل، لكي يباركني بمناسبة عيد القديس ستيليانوس (آسم رئيسة الدَّير ستيليانى) بأجمل الأمنيات والتبريكات الأبويَّة، قال لي من خلال الهاتف: «أرسلنا لكم يا ابنتي الغالية مع أحد الأشخاص هديَّة إلى الدير، ولكن بسبب التغيير المفاجىء والطَّارئ الذي حصَل في المطار الدُوَلي في إسرائيل، فإنَّ هذا الشخص سيصل يوم غَدٍ في حدود الساعة التاسعة صباحًا.» وفعلًا وصَلَ هذا الشخص إلى الدير، وبحوزته الهديَّة، وهي علبة من الكرتون مغلقة، بعد أنْ تسلَّمنا الهديَّة وضعناها داخل المكتب، فشكرتُ الشخصَ ورافقته حتى الباب الرئيسي لتوديعه بأمانِ الله، بالمقابل، بادرت احدى الأخوات في الدير، بفتح العلبة (الهديَّة)، لتُساعدني لِئَلَّا أتعب، فأخذت المِقَص وبدأت بِقَطع الحبل المربوط على العلبة، لكي تنزع وتُزيل التغليف ليتسنى لها الوصول إلى الهديَّة، في هذه اللحظة التي عُدتُ فيها إلى المكتب، قامت هذه الأخت بالتعامل مع العلبة بشكلٍ خاطىء، فقد سحَبَتها بدون حَذَر، فوقعت العلبةِ أرضًا، وتحطَّمَ ما بداخلها إلى أجزاءٍ عدَّة، كان في داخل العلبة جهاز الحاسوب؛ فقمتُ برفع العلبة من على الأرض، في هذه اللحظة تمامًا، قَرَع الهاتف في المكتب، كان الشيخ پورفيريوس، الذي قال: هَلُمّي حَدِّثيني، ماذا جرَى، ماذا حدثَ للببغاء ؟

(وليفهم القارىء قصة الببغاء): كان للشيخ پورفيريوس شخصٌ يتوافد إليه طلبًا للأعتراف والإرشاد الرُّوحي، وكثيرًا ما كان يزورنا في الدير ويتوافد إلينا للصلاةِ، وكان لهذا الشخص المؤمن، ابنٌ يأتي إلينا مع أبيه وبحوزته طائر الببغاء، وفي إحدى المرَّات قدَّم هذا الابن الببغاء هديَّة للدير».

في تلك السَّاعة (وقت سقوط العلبة) كنتُ حزينة في داخلي (أنا رئيسة الدير ستيليانى)، بسبب عدم الاهتمام والاستهتار، من قِبَل الراهبة الأُخت في الدير، والتي لعدم اكتراثها سقطت العلبة، وانكسر ما بداخلها !!!

فقلتُ للشيخ پورفيريوس: أيها الشيخ لا وقتَ لي لهذا الببغاء.

هَلُمّي يا ابنتي، لا يستولي عليكِ الحزن، بسبب أنَّ احتك في الرهبنة، اسقطت العلبة سهوًا، وانكسَرَ الحاسوب الذي أرسله البطريك.

إنَّه خطأ الببغاء (ببغاؤُكِ)، (الببغاء هو الذي أخطأ إليكِ).

ملحوظة: الشيخ پورفيريوس عَرَفَ ما حدث في الدير وهو بعيدٌ، (لديه نعمة الأستنارة)، ما يريده الشيخ هو طرد الضغينة او الحزن من القلب، وكأنَّ المشكلة هي من الببغاء.

كنتُ في إحدى المرَّات، في قلَّاية الشيخ پورفيريوس، فبدأ يروي تفاصيل حياته في كافسوكاليڤيا في جبل آثوس، وبالذّات حول الشيخ ذيما (ذيماس)، وكيف انسكبت النعمة عليه. يروي قائلًا: «كانت كلّها في غاية الرَّوعة والجمال، مليئة بالغبطة والسعادة، لم أَكُن أَمشي (أسير على قدمَيّ) كنتُ أطيرُ فرَحًا، فهمتُ كُلَّ شيء، انفتحت بصيرتي، كُلّ العالم في روحي ونَسمتي، أدركتُ وفهمتُ وتيقنتُ بشكلٍ فريد وإلى أقصى الحدود: الطيور، الأشجار، الصخور العموديَّة. أووو!! هذه الصخور العموديَّة، ماذا لم تَقُل لي، ماذا لم تُحدِّثني !!. كانت تشهَد على كفاحي وجهادي، على الدموع، منهج الوصول للقداسة. كنتُ أجلس لساعاتٍ أصغِي إلى شدوِ وتغريدِ البلابل، وكأنَّها حفلات موسيقيَّة بغاية الرَّوعة والجمال، غمرت قلبي بنشوة الفرح، من جرَّاء صُداحها وكأنَّني في حديقةٍ غنَّاء.

هناك، وفي إحدى المرّات، دخلتُ إلى عُمق الغابة، وجلستُ على صخرةٍ كبيرة، كنتُ أقولُ وأُرَدِّدُ أُمنياتي ورغباتي وأشواقي، وأَهُذُّ فيها، ومن خلال هذا الجوّ من الصمت والهدوء والسَّكينة، وإذا بعندليبٍ يغرِّدُ بروعةٍ وابتهاج، حتى أُصِبْتُ بالذُّهولِ والدهشةِ، من حُسنِ شَدْوِهِ وغنائِهِ !! آهٍ، أُنظر مقدار العطاء، بأيِّ تعابير وأقوال، بأيِّ عبادة وتمجيد يُمكنُني أن أشكر الله الذي أبدَعَ وخَلَقَ هذا الطير، إنَّهُ لَإبداعٌ وخَلْقٌ لا يُسْبَرُ غورهُ.

في إحدى المرّات التي كنتُ ألهج فيها بهذه الأفكار التي دائمًا تراودني، وإذْ بعندليبٍ يدخل من الباب الرئيسي الكبير عند الشُّرفة مُسرعًا نحوي، ليختبئ داخل لحيتي.

أهلًا بِكَ، أهلًا بِكَ، يا صديقي (وأخذتُ بِمُداعَبَتِهِ ومُلاطَفَتِهِ)، كيفَ علمتَ أنَّنَا نتحدَّث عنكم الآن ؟ واستمريَّتُ في مُداعَبَتِهِ ومُلاطَفَتِهِ، هَيَّا هذا يكفي، هذا يكفي الآن.

أخرجته من داخل لحيتي، ووضعته في كفَّة يدي، عندها طارَ العندليب وغادر المكان.

ذهبنا مرَّة إلى قلَّاية الشيخ پورفيريوس، وتحدثنا عن الألحان الرُّوميَّة (البيزنطيَّة)، فقال لي: كم تُريحني وتُفَرِّحني هذه الألحان، إنِّي أحبُّها حبًّا جمًّا. وفجأةً سَكَتَ عن الحديث لِبُرهَةٍ ، كانَ ساكتًا وصامتًا.

وللتَوِّ عادَ إلى صوابِهِ، وقد بدَت عليه إمارات القلق والاضطراب.

فقال لي: «إقرعي الجرس، إقرعي الجرس». (إنَّ الأخوات الرَّاهبات في الدير يعرفن تمام المعرفة، أنَّهُ عندما يتمُّ قرع الجرس، فهذا يعني أنَّ الشيخ پورفيريوس يريد شيئًا ما حالًا وسريعًا).

هرعَت إحدى الأخوات إلينا بسرعةٍ، فقال لها الشيخ پورفيريوس:

«هناكَ حربٌ في مكانٍ ما، هناكَ نيران قِتال !!! إفتحي المذياع سريعًا، وهَلُمي أخبرينا ماذا يجري ؟!».

بعد قليلٍ من الوقتِ عادت الرَّاهبة مهرولَةً قائلةً:

«أيُّها الشيخ، أيُّها الشيخ: هناك حربٌ تدور رحاها الآن ضدَّ العراق، والجيش الأمريكي يقوم الآن بقصفهم».

لقد كان الشيخ پورفيريوس صادقًا لما أُلهِمَ به، لأنَّه نال نعمة فريدة ومميّزة.

ملحوظة: في اليونانيّة الكلمة التي تشرح هذه الحالة تُدعى :

« **إينوراسي** ***Ενόραση*** » وتعني : معرفة بعض الأشياء التي تتمُّ بِطُرق تتجاوز الحواس والعقل والتفكير .

«في إحدى المرّات باللحظة التي دخلتُ فيها إلى قلَّاية القديس پورفيريوس، قال لي: مرحبًا بِكِ يا ابنتي، علينا أن نؤدي الصلاة الآن. فضلًا!!!، لا تتحدثي معي الآن وقت الصلاة، لأنَّه الآن ستجري بعد قليل عمليَّة ٱقتراع في الإكليروس وبشكل سريّ، في يوغُسلافيا ؛ وسيتمُّ انتخاب بطريركٍ جديدٍ هناك. أتمنى أن يتمَّ اختيار **پاڤلوس**. رجاءً أن تؤدِّي الصلاة والتضرُّع الآن. »

عملنا الصلاة سويًّا، بعد ساعةٍ من الزَّمان **اتصلَ المثلث الرحمات نيافة المطران أثناسيوس يفتيس** هاتفيًّا (من يوغُسلافيا)، مع الشيخ پورفيريوس، لكي يُحيطه عِلمًا بأنَّه سيتمُّ الاقتراع بعد قليل في الكنيسة، وأيضًا ليأخذ بنصيحَتِهِ : لِمَن سيقترع ؟.

أجابه الشيخ پورفيريوس: أنتَ تسأل، لمن سَنُصَوِّت؟، لـ پاڤلوس سوفَ تنتخبون !!!

أَغْلَقَ **نيافة المطران أثناسيوس** الهاتف، وعُدنا الشيخ وأنا الحقيرة، عُدنا إلى متابعة الصلاة، نحو ساعةٍ وربع تقريبًا، وإذ الهاتف يقرع ثانيَة، إنَّه **المطران أثناسيوس**:

أيُّها الشيخ، بحسب دعائك وطلباتك، تمَّ التصويت واختِير بالإجماع **پاڤلوس** ليكون البطريرك المُنتخَب لدولة يوغُسلافيا.

من أقوال القديس پورفيريوس الرَّائي

محبّة المسيح والقريب

الحياةُ من دون المسيح، ليست حياة. هذا كلّ ما عندي لأقوله لكَ؛ إذا كنت لا ترى المسيح في كلّ أعمالِكَ وأفكارِكَ، فأنت تعيش بعيدًا عنه. هو كل شيء، هو الفرح، هو الحياة، هو النّور، النّور الحقيقي، الّذي يفرِّح قلب الإنسان، ويعطيه جناحين ليطير، ليرى كلّ شيء، ليتألّم من أجل الكلّ، ويرغب في أنّ كلّ إنسان يكون معه في هذا الفرح، بقربِ المسيح.

– حُبّنا للرّبِّ الإله يجب أن يكون عظيمًا دون أي سهوٍ. يخال لي أنّ الإنسان يملك بطّارية فيها كميَّة من الطاقة. إذا ما فَرَّغَ هذه الطاقة على أي شيء آخر إلّا حُبِّه لإلهِهِ، تضمحل الطاقة الّتي يملكها حتّى تكاد لا توجد بعد. ولكن إذا وظَّفَ كُلّ الطاقة الّتي يملكُ في خدمة الإله ومحبّته فإنّها تتكاثر. ليس هناك طريق متوسطة في المسيحيَّة، يجب أنْ نَرتقي بحبّنا للمسيح... عندها فقط كلّ شيء يصبح سهلًا.

– ما هو الفردوس؟! – المسيح... لا تهتم أنْ يحبّك أحد. لأنّك هكذا سوف تفشل. أنتَ فقط اسْتَزِد من حبِّكَ للمسيحِ وللجميع، عندها، وبطريقة سرّية، يأتي التحوُّل ويمتَلِئُ كيانك.

– ٱختر دائمًا الكلمات اللطيفة لتقول أي شيء للآخر حتّى لا تخلق جوًا من العدائيَّة. فالّذي يكذب مثلاً: قل له إنَّه في بعض الأحيان ربما لا يقول الأشياء بدقة.

أَتُحِبّني أكثر من هؤلاء ؟

«فَبَعْدَ مَا تَغَدَّوْا قَالَ يَسُوعُ لِسِمْعَانَ بُطْرُسَ: «يَا سِمْعَانُ بْنَ يُونَا، أَتُحِبُّنِي أَكْثَرَ مِنْ هؤُلاَءِ؟» قَالَ لَهُ: «نَعَمْ يَا رَبُّ أَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي أُحِبُّكَ» (يو٢١: ١٥). إنَّ هناك العديد من الفضائل التي تجعلنا أنْ ننالَ رِضَى الله، وتُظهرنا لامعين ومستحقِّين للاحترام، لكن الفضيلة التي تربح إستحسانا من السماء بصورة خاصة جدًّا هي المحبَّة المهتَمَّة بخير وصالح قريبنا، هذه الوظيفة (الرِّسالة) هي التي يطلبها الآن السَّيِّد المسيح من بطرس.

«فَبَعْدَ مَا تَغَدَّوْا قَالَ يَسُوعُ لِسِمْعَانَ بُطْرُسَ: «يَا سِمْعَانُ بْنَ يُونَا، أَتُحِبُّنِي أَكْثَرَ مِنْ هؤُلاَءِ؟» قَالَ لَهُ: «نَعَمْ يَا رَبُّ أَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي أُحِبُّكَ». قَالَ لَهُ: «ارْعَ خِرَافِي» (يو٢١: ١٥).

ولكن عَجَبًا لماذا ٱحتاجَ الرَّبُّ جميع الرسل الآخرين، وتكلَّمَ مع هذا التلميذ بهذه الأمور؟ لقد كان بطرس هو التلميذ المختار من الحواريِّين، الناطق بلسان التلاميذ، ورئيس الجوقة. لهذا السبب جاء بولس أيضًا في مناسبة لاحقة للتَحَقُّقِ من بعض الأمور إلى بطرس بدلاً من الآخرين.

في الوقت نفسه أيضًا، ٱئْتَمَنَ السَّيِّد المسيح بطرس بالأسبقِيَّة على إخوتِه لكي يُظهر له أَنَّهُ يجب عليه في المستقبل ألّا يخاف، لأنَّ نُكرانه قد تمَّ مغفرته بالكامل. علاوة على ذلك، لم يورد الرَّبُّ حادثة الإنكار مُطلقا ولم يجد عيبًا فيه لما حدث، لكنه قال في الواقع: «إذا كنتَ تحبني، إستلم مسؤوليَّة إخوتك، وأَظْهِر الآن لهم المحبَّة الغيورة التي أظهرتها دائمًا نحوي، والتي بشأنها تفاخرتَ. ومن أجل خاطر خرافي، أُبْذُل تلك الحياة التي كثيرًا ما كنتَ تقول أنَّكَ ستضعها عنِّي».

ثمَّ بعد أنْ سُئِلَ بطرس عن محبَّته للسَّيِّدِ المسيح مرَّةً، ثم مرَّةً ثانية، دعا المسيح كشاهد يعرف أسرار قلبه، عقب ذلك تَمَّ سؤاله مرَّةً ثالثة أيضًا، فٱنزعج بطرس كثيرًا. إذ كان خائفًا من تكرار ما حدث مِن قَبْلُ - لأنه لكونه كان شديد الثقة بنفسه في المرة السابقة إنهزم وتم التغلب عليه - لذا اتَّجَهَ نحو الرَّبِّ مرَّةً أُخرى طالبًا المُساندة، بقوله: «أَنْتَ تَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ.»، أي: **«أنت تعلم يارب الماضي والمستقبل»**.

أتلاحظ كيف صار بطرس على نحو أفضل، وأصبح رجلاً حكيمًا، الآن لم يعد يتفاخر ويناقض الرَّبَّ؟ حقًّا لهذا السَّبب ٱنزعج جدًّا: «لئلا أظن أنني أحبك، ولا أكون في الواقع عندي هذا الحب، تمامًا كما كانت لدي أفكار تفاخُر كثيرة قبّلا، وكنت مُفْرِطًا في الثِّقة بنفسي، فأنهزمت لاحقًا من خلال التجربة».

سأل المسيح السؤال ثلاث مراتٍ، وثلاث مراتٍ أعطى نفس الوصيَّة لبطرسَ، لكي يُظهر تقديره الكبير لوظيفة الاهتمام بخرافه الخاصَّة، وكيف أنَّ أداءَ هذه المهمة هو قَبْلَ كُلِّ شيءٍ برهانٌ على محبَّته له. وبعد التحدُّث إليه عن محبَّته له، سبق وتنَّبأ المسيح له أيضًا عن الٱستشهاد الذي كان سيجوزه، لكي يبيِّن أَنَّهُ تكلَّم معه كذلك ليس لأنَّهُ لا يَأْتَمِنُهُ، بل على العكس، بكونه يَثِقُ فيه ثقة كبيرة. علاوة على ذلك، لكي يظهر لبطرس ما هو البرهان الحقيقي على محبَّته للمسيح، وأيضًا لكي يُرشدنا نحن إلى الوسيلة التي بها نُقدِّم محبتنا له بصورة خاصة، لذا قال: «لَمَّا كُنْتَ أَكْثَرَ حَدَاثَةً كُنْتَ تُمَنْطِقُ ذَاتَكَ وَتَمْشِي حَيْثُ تَشَاءُ. وَلكِنْ مَتَى شِخْتَ فَإِنَّكَ تَمُدُّ يَدَيْكَ وَآخَرُ يُمَنْطِقُكَ، وَيَحْمِلُكَ حَيْثُ لاَ تَشَاءُ» (يو٢١: ١٨).

بطرسَ حقًّا تمنَّى وَرَغِبَ في هذه الشَّهادة، لهذا السَّبب أَظْهَرَ له الرَّبُّ هذا الكشف. إذْ أَنَّ بطرس قال في مناسبات عديدة: «إِنِّي أَضَعُ نَفْسِي عَنْكَ!» (يو١٣: ٣٧)، «وَلَوِ اضْطُرِرْتُ أَنْ أَمُوتَ مَعَكَ لاَ أُنْكِرُكَ!» (مت ٢٦: ٣٥). لذلك منحه السَّيِّد المسيح رغبَتَهُ.

إذن ما معنى كلمة «حَيْثُ لاَ تَشَاءُ»؟ هنا يُشيرُ الرَّبُّ إلى مشاعر طبيعتنا البشريَّة، والميل إلى حماية النفس فيما يخص الجسد، وأنَّ الرُّوح تصير منفصلة عن الجسد بتمنُّع. فالجسد ضعيف حتى ولو أنَّ الإرادة قويَّة. لا أحد في الحقيقة، يضع جسمه للموت بدون جهاد، والرَّبُّ قد أقام ذلك قصدًا حتى لا يكون هناك حالات ٱنتحار عديدة. بالرغم من هذا، نجح **الشيطان** في تَسَبُّبِ ذلك الأمر ودفع

الكثير من الناس للحُفَرِ والمنحدرات العميقة. فلو كانت رغبةُ الجسد في الحياة ضعيفة، لكان الكثير من الناس قد وضع نهاية لحياته بِتَعَجُّلٍ بسبب بعض التَّوعُّكِ العابر. لذلك كلمة «حَيْثُ لاَ تَشَاءُ» تشير إلى هذه المشاعر الطبيعيَّة.

لماذا بعد قوله: «لَمَّا كُنْتَ أَكْثَرَ حَدَاثَةً»، أضاف: «مَتَى شِخْتَ»؟ هذا يُظهر أنَّ بطرسَ لم يكن شابًا في هذا الوقت، لكنه أيضًا لم يكن بعد رجُلا كبير السِّن، إذْ أنَّهُ كان في مُقتبل العمر. لماذا إذن يذكر حياته السَّابقة؟ لكي يوضح لبطرسَ معياره من القِيَم. إذْ أنَّهُ في نظر العالم، يُعتبر الشاب مُفيدًا، بينما المُسن لا يُعتبر ذا فائدة تُذْكَرُ. أمَّا الرَّبُّ فقصد ذلك: «بالنسبة لي، هذا الأمر ليس بصحيح، إذ أنَّهُ عندما تأتي الشيخوخة يتلألأ النُبل أكثر تألقًا، وتصير الفضائل الرجوليَّة أكثر تجليًّا، غير مُعرقَلة من قِبل الأهواء الشبابيَّة».

علاوة على ذلك، قال الرَّبُّ هذا لا لكي يُخيفَهُ بل لكي يوقظه وَيَسْتَحِثَّهُ، إذْ أنَّهُ عرف محبَّة بطرس له، أنَّهُ كان يشعر بهذه العاطفة النبَّيلة نحوه بقوَّة لوقتٍ طويل. في نفس الوقت أيضًا، كان يكشف له الطريقة التي بها سوف يموت. لأنَّ بطرس أراد دائمًا أن يُعرض نفسه للخطر من أجل الرَّبِّ، لذا قال له الرَّبُّ: «تشجع يا بطرس، فأنا سوف أحقق رغبتك بهذه الطريقة، حتى أنك في شيخوختك سوف تجوز تلك الآلام، التي لم تختبرها في شبابك».

ولإلهامِ قُرَّائِهِ، أضاف يوحنا الإنجيلي: «قَالَ هذَا مُشِيرًا إِلَى أَيَّةِ مِيتَةٍ كَانَ مُزْمِعًا أَنْ يُمَجِّدَ اللهَ بِهَا.» (يو٢١:١٩). لم يقل: «أن يموت بها» بل قال: «أَنْ يُمَجِّدَ اللهَ بِهَا.»، حتى نتعلَّم أنَّ المُعاناة والتألُّم من أجل المسيح هو **مجد وكرامة للمتألِّم**.

وأكمل الإنجيلي: «وَلَمَّا قَالَ هذَا قَالَ لَهُ: «اتْبَعْنِي».» (يو٢١:١٩) بهذه الكلمات، كان الرَّبّ مرة أخرى يشير بشكل غير مباشر إلى آعتنائِهِ ببطرس، وإلى حقيقة أنه كان على علاقة حميمية معه. وإذا سأل شخص ما: «لماذا إذن الذي آستلم كرسي الأسقفية في مدينة أورشليم هو يعقوب (وليس بطرس)؟ أجاوبه هكذا: «أنَّ الرَّبَّ قد عيَّن هذا الرجل (بطرس) ليس لمجرد كرسي أسقفي، بل كمُعلّم للمسكونة».

■

تابع من صفحة ٧

(رو١٢:١٥)، بشعورٍ أعظم من شعورِ الرسول (بولس). وكم بالأكثر ينوح الرَّبُّ على الكثيرين الذين أخطأوا من قَبْلُ ولم يتوبوا: (٢كو١٢:٢١). فنحن يجب ألَّا نعتقد أنَّ بولس يبكي على الخطأة وينوح على الآثمين، بينما يمتنع ربِّي يسوع عن البكاء، عندما يقترب إلى الآبِ، عندما يقف عند المذبح ليقدم شفاعة من أجلنا. فهذا ليس مجال شرب خمر الفرح عند صعوده للمذبح، لأنَّهُ ما زال يحمل **مرارة ذنوبنا**. فهو لا يريد أنْ يكون هو الوحيد الذي يشرب الخمر في ملكوت الله. بل هو ينتظرنا، كما قال، «إِلَى ذلِكَ الْيَوْمِ حِينَمَا أَشْرَبُهُ مَعَكُمْ جَدِيدًا». إذن، نحن الذين نؤخر فرح الرَّبِّ، **بإهمال حياتنا**.

أنَّهُ ينتظرنا لكي يشرب من ثمر الكرمةِ. مِنْ أيِّ كرمةٍ؟ من تلك الكرمة التي كان لها مثالًا: «أَنَا الْكَرْمَةُ وَأَنْتُمُ الأَغْصَانُ» (يو١٥:٥). لذلك يقول: «لأَنَّ جَسَدِي مَأْكَلٌ حَقٌّ وَدَمِي مَشْرَبٌ حَقٌّ.» (يو٦: ٥٥). فهو بلا شَكٍّ «غَسَلَ بِالْخَمْرِ لِبَاسَهُ، وَبِدَمِ الْعِنَبِ ثَوْبَهُ.» (تك ٤٩: ١١).

ما هذا؟ أنَّهُ ينتظر البَهْجَةَ. متى يتمّ ذلك؟ يقول الرَّبّ: عندما أُتمِّم العمل الذي أعطاني الآب «الْعَمَلَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لأَعْمَلَ قَدْ أَكْمَلْتُهُ.» (يو١٧:٤). متى يُكمل العمل؟ عندما يجعلني أنا - آخر الخطأة وأكثرهم بشاعة - **شَخْصًا تَامًا وكامِلًا**، عندئذ يكون قد أنهى عمله. فَعَمَلُهُ الآن مازال غير كامل طالما أنا أظَلّ ناقصًا. وطالما أنا لست بعد خاضعًا للآب، لا يقال عن المسيح أنَّهُ «خضع» للآب بعدُ (١كو١٥:٢٨). ليس لأنه في حاجة للخضوعِ للآب، بل من أجلي أنا - الذي لم يُتمم عمله فيَّ بعد - لا يقال أنه «خضع»، لأنَّنا «جَسَدُ الْمَسِيحِ، وَأَعْضَاؤُهُ أَفْرَادًا.» (١كو١٢:٢٧).

حتى الرسل لم يحصلوا بعد على فرحهم، لكنهم ينتظرون أيضًا حتى أشترك أنا في فَرَحِهِم. فالقدِّيسيون، عندما يتركون هذا المكان، لا يحصلون مباشرة على كامل مكافآتهم التي يستحقونها، بل هم أيضًا ينتظروننا حتى ولو تأخرنا أو بقينا. إذْ أنَّهم لا يحوزون على الفرح الكامل طالما هم يحزنون على أخطائنا ويبكون على ذنوبنا. ربما لا تصدقونني عندما أقول هذا - فَمَنْ أنا حتى أكون جريئًا هكذا في تأكيد هذا التعليم؟ - لكنني أقدِّم لكم شهادة لا تقبل الشَكَّ، شهادة الرسول بولس «مُعلم الأمم في الإيمان والحق» (١تي٢). في رسالته إلى العبرانيين، بعد أن عدَّد جميع الآباء القديسين الذين تبرروا بالإيمان، أضاف بعد ذلك: «فَهؤُلاَءِ كُلُّهُمْ، مَشْهُودًا لَهُمْ بِالإِيمَانِ، لَمْ يَنَالُوا الْمَوْعِدَ،إِذْ سَبَقَ اللهُ فَنَظَرَ لَنَا شَيْئًا أَفْضَلَ، لِكَيْ لاَ يُكْمَلُوا بِدُونِنَا.» (عب١١:٣٩-٤٠). إذًا، كما تروا إبراهيم مازال ينتظر لكي يحصل على الأمجاد الكاملة، وإسحق ينتظر، ويعقوب وكُلّ الأنبياء ينتظروننا، حتى ينالوا النعيم الكامل معنا.

إذًا، عندما تغادر هذه الحياة سوف تبتهج لو كنت مُقَدَّسًا. لكن عندما لا يكون أيُّ عضوٍ من أعضاءِ الجسد ناقصًا، آنذاك سوف يَكْمُل الفرح. إذ أنَّكَ سوف تنتظر الآخرين، تمامًا كما كان ينتظرك الذين سبقوك. لأنَّهُ إذا كان الفرح لا يكون كاملًا بالنِّسبة لك، كعضو عندما يكون عضوٌ آخر مفقودًا، فكم يُعتبر بالأكثر ربنا ومخلصنا - الذي هو الرأس والمؤسس للجسد كله - فَرَحُهُ غير كامل طالما أنَّهُ يرى أحد أعضاء الجسد مفقودًا من جسده. ربَّما لهذا السبب، سكب صلاته للآب: «مَجِّدْنِي أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ عِنْدَ ذَاتِكَ بِالْمَجْدِ الَّذِي كَانَ لِي عِنْدَكَ قَبْلَ كَوْنِ الْعَالَمِ.» (يو ١٧: ٥).

هكذا هو لا يريد أنْ يتقبَّل مجده الكامل بدوننا، أي بدون شعبه الذي هو جسده وأعضاؤه. لأنَّهُ هو نفسه يريد أنْ يعيشَ في هذا الجسد الذي لكنيسته، في أعضاء شعبه، أي في نفوسهم، حتى تكون كُلّ دوافعهم وكُلّ أعمالهم وفقًا لإرادته الخاصة، بحيث يتحقق قول النبيّ حقًا فينا: « وَأَجْعَلُ مَسْكَنِي فِي وَسَطِكُمْ .. وَأَسِيرُ بَيْنَكُمْ» (لا ٢٦:١١-١٢).

سيرة القديس نكتاريوس العجائبي

الفصل الثاني والعشرون

(تتمة من العدد السَّبق):

لم تُبدر عن نكتاريوس غير حركة بسيطة، ثُمَّ جَمَدَ في مكانهِ. ورفع وجهه إلى السماء وتمتمت شفتاه ببعض الكلمات، فيما توقَّفت حوله التعليقات والمُناقشات، وحلَّ الصمت. فتناول نكتاريوس عصاه – وكانت العلامة الوحيدة التي تُشير إلى رتبته – ووضعها أمام الشاب، وقال:

«أيُّها الروح الثُعبان، أيُّها الرُّوح الشرِّير والدَّنِس، آمركَ باسم المسيح المصلوب أن تخرج من هذا الشاب!».

وللوقت زَفَرَ اسبيرو ونَهَضَ وفتحَ عينيه. ثُمَّ انحنى آليًّا وقبَّلَ اليد التي كانت تُمسك العصا. فسأله نكتاريوس:

ما اسمك؟

اسبيرو.

كم تبلغ من العمر ؟

خمس عشرة سنة على ما اعتقد !

وهل تذهب إلى المدرسة؟

كنتُ أذهب إلى المدرسة، إلَّا أنِّي اضطررتُ إلى الانقطاع عنها بسبب هذه الإغماءات.

حسنًا، لن تُزعجك هذه الإغماءَات بعد اليوم يا ولدي. ثابر على الدرس لأنَّ هذا سيعود عليكَ بالفائدة في المستقبل.

ورفعَ نكتاريوس يده وباركَهُ وَصَرَفَهُ قائلًا: « إذهب بسلام».

الفصل الثالث والعشرون

«فَذَاعَ الْخَبَرُ عَنْهُ أَكْثَرَ. فَاجْتَمَعَ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ لِكَيْ يَسْمَعُوا وَيُشْفَوْا بِهِ مِنْ أَمْرَاضِهِمْ. وَأَمَّا هُوَ فَكَانَ يَعْتَزِلُ فِي الْبَرَارِي وَيُصَلِّي.» (لوقا ٥: ١٥-١٦)

أشاعت كُلّ هذه الأحداث الاضطراب في المدينة. وراحَ الجميع يتناقلون القصة المُدهشة، قصَّة الأُسقف «المَنفِي» الذي أتى من أثينا وأسكَتَ أسبيرو نهائيًّا بِصَلاتِهِ. وكان أسبيرو قد تنبَّأَ منذُ عام مضى، وفي الفترة نفسها من السنة، بأنَّ الجفاف سوفَ يستمرّ لمُدَّةٍ طويلة، حتى تموت الأشجار وتَيْبَس الحقول، وتَجِفّ الآبار إلى الأبدِ.

ولم يَقبل نكتاريوس بقضَاء الليلِ عند الأب ميخائيل، إذ لَمْ يُرِد أن يكونَ عِبئًا على أحد. بل ارتاحَ في الفندق، ونَهَضَ في الصباحِ الباكر، واستطاع بمعونة الأب ميخائيل أن يجد مطيَّة للذهاب إلى

زانطا في المدينة القديمة، وهو المكان الذي اختارته تلميذاته الوَرِعات ليكونَ مقرًّا لحياتهنَّ الرهبانيَّة.

ولم يستطع الكاهن أن يُرافقهما لاضطراره لإقامة إحدى الخِدَم الليتورجيَّة. وسار نكتاريوس برفقة صاحب الحمار مجتازًا شوارع المدينة، فلاحَظَ اضطرابًا غريبًا بين الناس.

كان شعب إيچينا ميَّالًا إلى الحَسَدِ والنميمة والاعتقاد بالخرافات. ولقد اعتقدوا في الواقع أنَّ أرضهم القديمة ملعونة، وأنَّها لن تَعود أبدًا إلى الازدهار، بل ستتحوَّل إلى صحراء. لكن العكس قد تبيَّنَ لهم الآن بشكلٍ واضح وأكيد لا شَكَّ فيه ولا تردُّد.

ولدى مرور نكتاريوس، كانت الشوارع تكتظ بالناس الذين يقولون لمرآه:

–« ها هو. إنَّهُ نفسه. انظروا، هذا أمرٌ عجيب، إذ لا تَبدُو عليهِ إطلاقًا هيئة الأسقف.

–«إنَّه يبدو كالرهبان.

–«أُنظروا إلى العصا التي شفت أسبيرو كاتسيليس.

وكانت هناك إمرأة تُدعَى رينا، وكانت مُصابة بنزف الدم منذ حوالي ستّ سنوات. وقد هزلت كثيرًا حتى أصبحت كالهيكل العظمي، دون أن يستطيع الأطباء شفاءَها. وما أن رأت الحمار يقترب ويمرّ أمام بيتها، حتى رَكَضَت وارتمت أمام نكتاريوس، والتقطت جبَّته وقبَّلَتها صارخة:

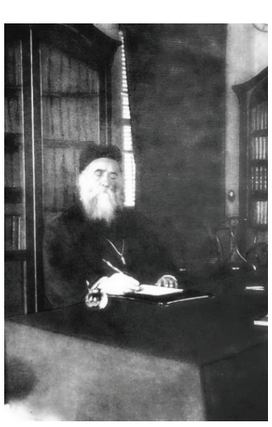

« يا أُسقفِي! أيُّها الشيخ القديس»

فنظر إليها نكتاريوس بحنان وباركها.

وللحال أَحسَّت بالقوَّة تَدُبّ في جسدها فجمدت في مكانها لوهلةٍ وشعرت بأنَّ نزف دمها قد توَقَّف. فراحت تصرخ:

.« تبارك الرَّبّ! تبارك الرَّبّ! أيُّتها العذراء القديسة ».

وتلا الحادث استغراب عام وبعض الارتباك.

ولكن الحمار كان يُتابع تقدُّمَه في الدروب المحدودة بالأشواك والوِهاد. وكان صاحب الحمار يمشي وراءَه، وهما يقتربان من **زانطا**.

(يتبع)

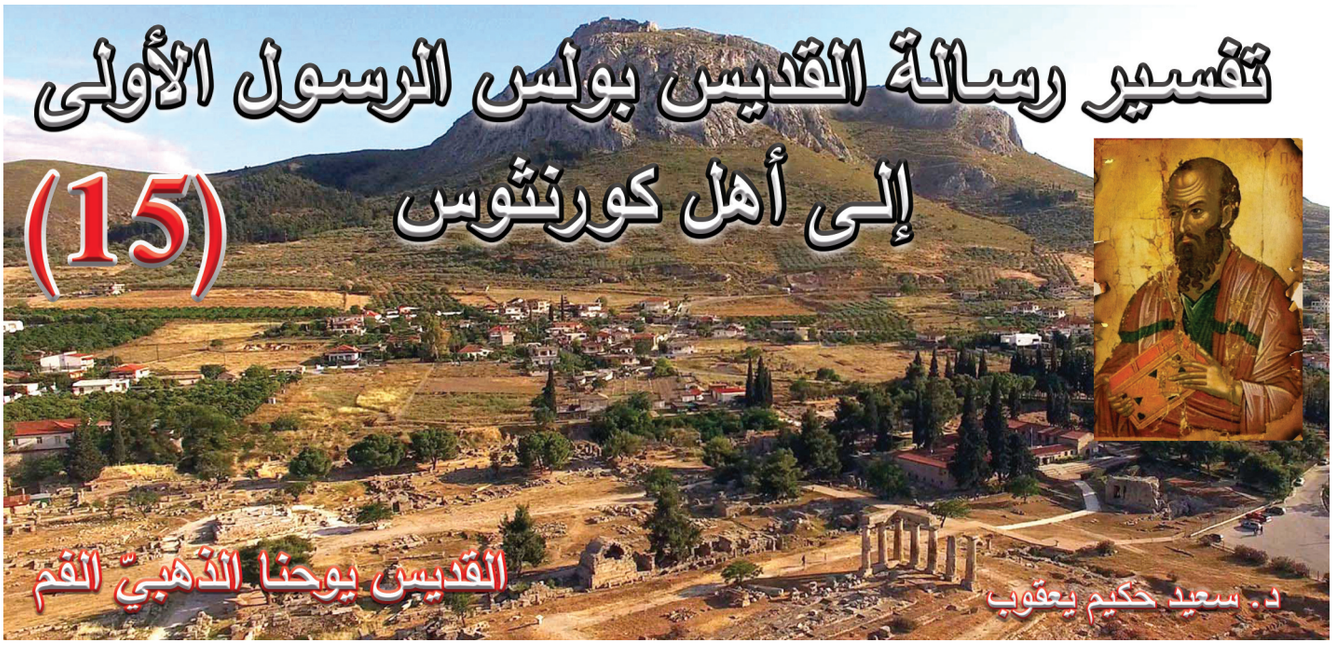

الإصحاح الثاني

العظة السابعة (١كو٢: ٦-١٦)

«فَأَعْلَنَهُ اللهُ لَنَا نَحْنُ بِرُوحِهِ. لأَنَّ الرُّوحَ يَفْحَصُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى أَعْمَاقَ اللهِ. لأَنْ مَنْ مِنَ النَّاسِ يَعْرِفُ أُمُورَ الإِنْسَانِ إِلاَّ رُوحُ الإِنْسَانِ الَّذِي فِيهِ؟ هكَذَا أَيْضًا أُمُورُ اللهِ لاَ يَعْرِفُهَا أَحَدٌ إِلاَّ رُوحُ اللهِ. وَنَحْنُ لَمْ نَأْخُذْ رُوحَ الْعَالَمِ، بَلِ الرُّوحَ الَّذِي مِنَ اللهِ، لِنَعْرِفَ الأَشْيَاءَ الْمَوْهُوبَةَ لَنَا مِنَ اللهِ» (١كورنثوس٢: ١٠-١٢).

أعلنَهُ لنا بروحِهِ، وليسَ بحكمة العالم، لأنَّ هذه الحكمة العالميَّة كما لو كانت عبدة محتقرة، لم تأخذ التصريح أو الإذنَ أنْ تأتي إلى الداخل، وأنْ تُشارِك في الأسرار التي للسيِّد.

٤- أرأيتَ مدى المسافة التي تفصل بين الحكمة العالميَّة والحكمة الروحانيَّة؟ فما لم يعلمه الملائكة، علَّمتنا إيَّاهُ الحكمة الروحانيَّة. بل إنَّ حكمة العالم صنعت العكس، ليس فقط أنَّها لَمْ تُعَلِّم أو تُهَذِّب، بل أعاقت أيضًا، وقادت إلى طريقٍ مسدود، وألقت بظلال (من الشَّكِ) على الأحداث، بأن اعتبرت الصليب أمرًا فارغًا ومُجَرَّدًا من المعنى. إذًا فَهي لم تُبَرْهِن على الكرامة التي نِلناها، بأن تسمح لنا بأن نعرف، بل ونعرف مع الملائكة، لكن هذه المعرفة هي بالرُّوح. بعد ذلك يُظهر الأمر الأعظم، وهو إن لَمْ يَكُن روح الله الذي يعرف أعماق الله، هو الذي كشف أو أَعلن لنا هذه لأمور، ما كان لنا أن نعرفها. لقد كان إعلان كُلّ هذا. أمرًا هامًّا جدًّا، إذْ أنَّهُ من بين الأمور الخفيَّة، من أجلِ ذلك كُنَّا في احتياج لذلك الرُّوح كَمُعَلِّم وهو الذي يعرف هذه الأمور بوضوح ودقَّة، لأنَّ الرسول بولس يقول عنه: «لأَنَّ الرُّوحَ يَفْحَصُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى أَعْمَاقَ اللهِ.» (١ كو٢: ١٠). إلَّا أنَّ الفحصَ هنا ليس دليلًا على عدم المعرفة، بل تحديدًا، هو دليل على المعرفة. هذه الكلمة عينها هي التي استخدمها عن الله. قائلًا: «وَلكِنَّ الَّذِي يَفْحَصُ الْقُلُوبَ يَعْلَمُ مَا هُوَ اهْتِمَامُ الرُّوحِ.» (رو ٨: ٢٧).

وبعدما تكلَّم بدقَّة عن المعرفة التي لروحِ اللهِ، وبعدما عَلَّمَ بأنَّ هذه المعرفة التي للرُّوحِ القُدُس هي مساوية للمعرفة التي لله، مثلما أنَّ الذي يعرف الإنسان هو روح الإنسان الذي فيه. وبعدما علَّمَ بأنَّ كُلّ الأشياء قد تعلّمناها بالرُّوح – وهذا أمرٌ حَتْمِيٌّ – أنَّ الرُّوح هو الذي يُعلِّمنا إياها، أضافَ:

«الَّتِي نَتَكَلَّمُ بِهَا أَيْضًا، لاَ بِأَقْوَالٍ تُعَلِّمُهَا حِكْمَةٌ إِنْسَانِيَّةٌ، بَلْ بِمَا يُعَلِّمُهُ الرُّوحُ الْقُدُسُ، قَارِنِينَ الرُّوحِيَّاتِ بِالرُّوحِيَّاتِ.» (١كورنثوس ٢: ١٠-١٣).

أرأيتَ إلى أين قد سَمَا بنا، بسبب قيمة وقدر المعلِّم؟ أي أنَّنا أَحْكَم من أولئك (أي حُكماء العالم)، على قدر المسافة التي تفصل بين أفلاطون، والرُّوح القُدُس، لأنَّ خُطباء هذا العالم هم مُعَلِّمُو أولئك، لكن مُعلّمنا نحنُ هو الرُّوح القُدُس. وماذا يعني بقوله: «قَارِنِينَ الرُّوحِيَّاتِ بِالرُّوحِيَّاتِ؟» (١كو٢: ١٣). يعني أنَّ هناك أمرًا روحانيًّا وغير مُدرَك، وبالرُّوحانيَّات يُصبح لدينا إمكانية لإدراكه، فإنَّكَ تُقدِم بعض الشهادات أو النماذج حتى تُدرك حقيقة قيامة المسيح أو ولادته من عذراء، مثل: خروج يونان من جوف الحوت بعد ثلاثة أيام وخلاصه من الموت، والعاقرات اللَّاتي أنجبنَ الأبناء، مثل سارة، ورفقة، والأُخريات، ونموّ الأشجار في الفردوس دون إلقاء بِذار ولا سقوط أمطار، وبدون أن يُفتح أي مجرى مائي.

إنَّ أُمور المستقبل تُصاغ وتُخَطَّط زمنيًّا، داخل كُلّ ما سبق كما في ظلال، حتى تُصبح هذه الأمور مصدَّقة أو موضع ثقة عندما تَحْدُث. ومرَّة أُخرى تُقَدَّم كمثال، كيفيَّة خُلِقَ الإنسان من تراب الأرض، وكيف خُلِقَت المرأة من الرجُل فقط، دون أن يكون بينهما على الإطلاق أي عُلاقة جسديَّة، وكيف خَلَقَ الله الأرض نفسها من لا شيء. هذا راجع إلى أنَّ قوَّة الخالق تَشمل كُلّ شيء، وقادرة على خَلق كُلّ الأشياء. هكذا جاءَ في الرسالة : «وأُقَارِنِ الرُّوحِيَّاتِ بِالرُّوحِيَّاتِ؟»

(١كو٢:١٣). وليسَ لديّ أيّ احتياج لحكمة العالم، ولا لأفكار العالم، ولا للأشياء العالميَّة المُعدَّة سلفًا. أمَّا أولئك (حُكماء هذا العالم)، فإنَّهم يُثيرون الضجيج والقلاقل من خلال أفكارهم المريضة، ولم يستطيعوا أن يُبرهنوا بوضوح على أيّ شيء ممَّا يقولونه، بل يفعلون العكس، إذ يُثيرون اضطرابًا، ويملأون الفكر ظلامًا، ويجعلونه أكثر حيرة. ولأجل هذا يقول: «قَارِنِينَ الرُّوحِيَّاتِ بِالرُّوحِيَّاتِ؟» (١كو٢:١٣). أرأيتَ كيف أنَّهُ أمرٌ زائد ولا مبرِّر له أن يُبرهن على عدم جدوى حكمة العالم؟ وليسَ فقط هي أمرٌ زائد ولا حاجة له، بل هي حكمة عِدائيَّة وضارَّة، لأنَّه حين يقول: «لِئَلاَّ يَتَعَطَّلَ صَلِيبُ الْمَسِيحِ.» (١كو ١:١٧)، وأيضًا : «لِكَيْ لاَ يَكُونَ إِيمَانُكُمْ بِحِكْمَةِ النَّاسِ» (١كو ٢:٥)، فهذا هو ما يعلنه ويعنيه. إذًا فهو يبرهن هنا، على أنَّه من المستحيل أن يتعلَّم البَشَر شيئًا مُفيدًا، إن كان لديهم ثقة فيها، ووضعوا كُلّ آمالهم عليها.

ثمَّ يقول: «وَلكِنَّ الإِنْسَانَ الطَّبِيعِيَّ لاَ يَقْبَلُ مَا لِرُوحِ اللهِ لأَنَّهُ عِنْدَهُ جَهَالَةٌ، وَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَعْرِفَهُ لأَنَّهُ إِنَّمَا يُحْكَمُ فِيهِ رُوحِيًّا.» (١كورنثوس٢:١٤).

إذًا يجب على الإنسان أولًا أنْ يرفض حكمة العالم. وربما يقول البعض ماذا إذًا؟ وهل حكمة العالم تُعتبر حكمة شيطانيَّة؟ الواقع إنَّ الحكمة البشريَّة هي عمل من أعمال الله، لكن الحكمة التي تُجيدها وتمتلكها، هي التي يدعوها الرسول بولس هنا، بالحكمة المملوءة فضولًا من حيثُ طلب المعرفة والفصاحة الزَّائدة عن الحدّ. كمن إن ادَّعَى أحدٌ أنَّ ذاكَ (القديس بولس)، يقصد الفكر الإنساني. فإنَّني أكرر: أنَّك تُخطيء، لأنَّك أنتَ الذي تطعن فيها، أنتَ يا مَنْ تستخدمها بشكلٍ سيِّء وَمُضِرّ وضدّ الله، فأنتَ تطلب وتنتظر من هذه الحكمة ما لا تستطيع أن تُعطيك، فنظرًا لأنَّكَ تفتخر بها وتحارب الله، فقد أظهَرَ الرسول بولس مدى ضعفها: إنَّ قوَّة الجسد تُعتبر بالطَّبع أمرًا حسنًا. ولكن لأنَّ قايين لم يُحسِن استخدامها، فقد أوقفها الله، وجعله يرتعب «تَائِهًا وَهَارِبًا تَكُونُ فِي الأَرْضِ» (تك ٤:١٢). والخمر والنبيذ هو أمرٌ حسن، إلَّا أنَّ اليهود تمتَّعوا به دون أن يَضعوا له حدودًا أو معيارًا، لذلك منع الله الكهنة من الاستخدام المُفرِط له، منعًا باتًّا.

فنَظَرًا لأنَّك تستخدم الحكمة بشكل سيِّء لكي ترفض الله، ولأنّك تطلب منها أُمورًا تتجاوز قدرتها، فهي تُبعِدُكَ عن الرَّجاء الإنساني، لذلك فقد أظهَرَ الرسول بولس ضعفها. لأنَّهُ بالحقيقةِ فالإنسان الطبيعي هو الذي يؤمن بأفكار النَّفسِ في كل شيء، ويعتقد بأنَّهُ غير مُحتاج لأيّ عون أو مُساعدة من فوق (من السماء)، الأمر الذي يُعَدُّ جهالة. لأنَّ الله بالتأكيد قد أعطى الإنسان الحكمة لكي يتعلَّم، ولكي يقبَل كُلّ ما يأتي من قِبَلِ الله، وليس لكي يتصَوَّر أنَّ هذه الحكمة كافية في ذاتها. فالعينان هما بالحقيقة صالحتان وهما نافعتان، ولكن إذا أرادتا أن تريا في الظلام، فلن يكون لِصَلاَحِيَّتِهِمَا وَنَفْعِهِمَا أيّ جدوى على الإطلاق. بل بالعكس فأنَّ الظَّلام يؤذي العينين، هكذا هي النَّفس، إنْ أرادت أن ترَى بدون الرُّوح، ستَجِد عوائق أمامها.

وقد يقول البعض، كيف كان الإنسان يرى كُلّ شيء بقدرات هذه الحكمة قبل أن يُعطَى الرُّوح؟ إنَّ الإنسان لم يفهم قُدرات تلك الحكمة، بل إنَّ الطبيعة كانت بديلًا له عن الكتاب في مقابل الحكمة. إلَّا أنَّ حُكماء هذا العالم تُرِكُوا أحرارًا أنْ يسلكوا في الطريقِ الذي حدَّده الله، وأنْ يعرفوا الخالق من خلال جمال الطبيعة، لأنَّ أولئك الحُكماء أَعطوا صولجان المعرفة للفكر، وبسبب ضُعف حكمتهم، أَغرَقُوا الناس في مُحيط الجحود والكُفر.

وعلى الفور انحَدَروا إلى هوَّة الشرور، بأنْ ادَّعوا أنَّهُ لا شيء قد خُلِقَ من العَدَم، بل من مادة سابقة على الخلق، وهكذا ابتَدَعوا هرطقات لا حصرَ لها. لقد اتفقوا في الأمور العَبَثيَّة غير اللائقة، أمَّا بالنسبةِ للأمور التي يبدو أنَّهم يفكرون فيها بشيء من الاستقامة، حتى وإن كانوا يرون ظلال الحقيقة فقط، كما في حلم، فإنَّهم في هذه الموضوعات تحديدًا تشابكوا واختلفوا فيما بينهم، حتى صار الواحد موضع استهزاء في مواجهة الآخر. فمن حيث القول بأنَّهُ لا شيء قد خُلِقَ من العدم، فهذا ما قاله جميعهم تقريبًا وكتبوه، وبتشديد وتأكيد كبير. فقد حرَّضهم الشيطان على ممارسة أمورٍ سخيفة وغير لائقة، لكنهم في الأمور النافعة التي ظهروا فيها وكأنَّهم وجدوا شيئًا ممَّا يبحون عنه كما في ألغاز، ففي هذه حاربوا بعضهم بعضًا، وعلى سبيل المثال: أنَّ النَّفس خالدة، وأنَّ الفضيلة ليست في حاجة لأي عنصر خارجي، وأنَّ البَشَر ليسوا مُجبرين على الالتزام بما هو ضروري لكي يصيروا أفضل.

(يتبع في العدد القادم)

توزّع هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح

المحرّر المسؤول :
هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

كفركنا – الشارع الرئيسي – ص . ب . ٦١٩
e-mail: light_christ@yahoo.com
http://lightchrist.org/bulletins.html
Registered Society. No. 580 327 914

لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم:
IBAN: IL480127260000000111122